كنيسة العذراء مريم والشهيد أبانوب
بالمقطـــم

أَنتَ حُرِّيَّتِى

راهب من جبل أنطونيوس

" ألست أنا حُرًّا "

(١ كو ٩ : ١)

" حيث روح الرب هناك حُرِّيَّة "

(٢ كو ٣ : ١٧)

اسم الكتـــاب : أنـــت حريتـــى
المؤلـــــف : راهب من جبل أنطونيوس
اسم المطبعـة : تاتش برس – ٠١٠٠١٧٨٩٣٧٤
الطبعـــــة : الأولـى ٢٠١٣ م
تجهيزات فنية : صبحي صادق – موريس ونيس
رقم الإيـــداع : ٥٩٨٢ /٢٠١٣
لطلبات الجملة : ٠١٢٢٤٢٧٢٤٣٥

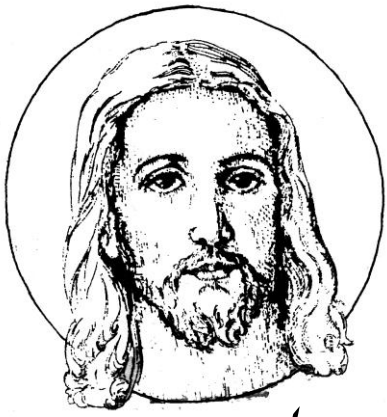

إهـــداء

❖ أقدِّم إليك هذا الكتاب أيها القارئ الحبيب ، راجيًا من الرب أن يطلقك من سجن حريتك الزائفة إلى رحب حريته الحقيقية .

وأن يُخلِّص روحك الأسيرة ، ويُغيِّر فكر قلبك السليب وعقلك المخدوع ، لتعرف طريق الخلاص وطريق الحياة الأبدية .

قداسة البابا تاوضروس الثانى

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

١ – رحلـة الحريـة

دفع مدير شركة تجارية كبرى لأحد القضاة شيكًا بمبلغ كبير يرشوه به ليصدر حكمًا فى صالحه وصالح شركته على حساب العدالة والحقيقة ، من غير اعتبار لمصير صغار التجار ..

إنها إحدى الشركات التى تحتكر السوق لتجنى أرباحًا طائلة غير عابئة بمصائر المئات والمئات من العباد .

غادر مدير الشركة مكتب القاضى . وتناول القاضى الشيك الذى قدمه له المدير ببطء وطفق يتأمل برقم المبلغ الكبير ، وتردد فى أذنيه صوت مدير الشركة وهو يقول : [هذا مقابل أتعابك] .

وتمتم القاضى : [مقابل أتعابى، ربما،ولكن أية أتعاب .. إننى] .

واعتراه شعور غريب من القلق والتوجس ، أحس به يسيطر على عقله ، ويطل من مجاهيل نفسه ، ليقول له شيئًا أو ليحذره من شئ .

وبدا له أن الشيك الذى بين يديه قد استحال إلى كتلة ملتهبة من النار تكاد تحرق أنامله ، فألقى به إلى المنضدة أمامه ، ونهض عن مقعده وأخذ يتجول فى الحجرة .

وهمّ أن يتناول الشيك ليمزقه ، فقد أحس بأن هذا الشيك سيكون قيدًا يقيده إلى عبودية قد لا يتحرر منها أبدًا .

ثم تطلع إلى الشيك من جديد وتمتم : [نعم .. أنا قاض مرتشٍ ، ولكننى فى حاجة إلى هذا المبلغ . إن هذا الشيك ينقذنى من الفضيحة والفقر والتشرد . أنا أحتاج إلى هذا المبلغ] .

وسمع طرقات على باب حجرته .. لقد جاء إليه محاسب الكازينو يطالبه بالمبلغ المدين به إلى الكازينو .

وعندما فكر القاضى أن يعطيه الشيك . فجأة أحس وكأن صوتًا خفيًا يحذره ويقول له : [لا تعطيه الشيك .. تريث . فكر] .

فتطلع إلى محاسب الكازينو ، وقال له :

- أليس غدًا هو موعد تسديد المبلغ ؟

= نعم يا سيدى .

- إذن يمكنك أن تأتى غدًا .. بعد الانتهاء من جلسة المحاكمة الصباحية .

= حسنًا يا سيدى .. غدًا بعد المحاكمة .

وخرج محاسب الكازينو من حجرة القاضى .

وللمرة الثانية انتاب القاضى شعور بالسخط .. لقد استعبده المال ، بل استعبده القمار فجرده من كل ما يملك إلا راتبه الشهرى ، وراتبه الشهرى لبضع سنوات ، لن يكفى لتسديد دينه للكازينو ، وها هو يلوث كرامته بحمأة الرشوة .. هو القاضى الذى يصدر أحكامًا على مجرمين ارتكبوا شتى صنوف الجرائم ، عليه فى هذه اللحظة أن يصدر حكمًا على القاضى المقامر .

إن الشيك سبيل نجاته من ديونه ومن الفضيحة ، ولكنه درب عبوديته للشركة التجارية التى لابد أن تسخره فى تنفيذ أغراضها الغير شرعية ، وهو يدرك أن أى حكم يصدره فى صالحها سيكون ضربة قاضية على غيرها .

وشعر باليأس يسرى إلى قلبه ، فهو يقف أمام اختيارين رهيبين :
إما الفضيحة والفقر ، أو المال والعبودية .

لقد خدع زوجته فلم تعرف أنه يقضى بعض أوقاته فى الكازينو يحترق فى جحيم القمار .. أما الآن ، فكيف يمكنه أن يخفى عنها الواقع الأليم ؟!

وجلس ينتظر .. الفضيحة .. العار .. الرشوة .

كيف يمكنه أن ينجو من هذا المصير ؟
هل هناك سبيل نجاة ؟

ولما عاد إلى منزله أخذ يفكر ماذا يفعل . ومن خلال زجاج النافذة

شاهد صبيين من باعة اللبان يمرحان فى الطريق، يضحكان تارة ، ويتجاذبان تارة أخرى ، ثم يسرعان نحو المارة أو السيارات المتوقفة فى الإشارة ليبيعا حبات اللبان بفرنك أو أكثر .. وخيل إليه أن هذين الصبيين أسعد منه ألف مرة ، فهما على الأقل لا يخشيان فضيحة ، وأى حياة هذه التى يحس فيها الإنسان أن سيف العار مُسَلط فوق رأسه.

لم يعد للطعام مذاق فى فمه ، وأحس بالإعياء يرهق جسده وفكره ، فاستلقى على أريكة وثيرة فى منزله، ومضى يتفرس فى سقف الحجرة، وانقضت ثوان هيمنت فيها السكينة على أرجاء المنزل .

راح شريط حياته يتراءى أمامه .. مرت به صورة والده الذى كان تقيًا وكرَّس حياته لخدمة الإنجيل .

إن صوتـًا مألوفـًا يـرف فـى مسـامعه يخاطبـه عبـر السـنين : [اسمع يا ابنى .. ها أنت تقف على عتبة مهنة هى من أنبل المهن وأشدها خطرًا ، وليس فى وسعك أن تقهر صعابها وتتغلب على أخطارها إن لم يكن المسيح هو الأول فى حياتك .. نعم الأول فى حياتك] .

ونظر إلى والده آنذاك بنظرة تشوبها مسحة من اللامبالاة .

وعاد صوت والده يخاطبه : [المسيح حياة يا بُنَىَّ ، فإن لم يصبح المسيح حياتك – ولا سيما فى وظيفتك – فإننى أخشى عليك من الانزلاق فى مهاوٍ لا قرار لها] .

وسرت فى جسده رعشة أحس بها تهزه من أعماقه . أيكون حدث ما تنبأ عنه والده ؟

أليس هو يهوى فى فجوة سحيقة مظلمة تملأه رعبًا ؟

أو ليس انطواؤه فى هذه الحجرة بالذات منقبضـًا ، قلقـًا ، بائسًا ، اعترافًا صريحًا بالتمزق الرهيب الذى يعانى منه ؟

ماذا كان يفعل والده لو كان فى موقفه ؟

وعلت شفتيه بسمة ساخرة مفعمة بالمرارة وفكر : إن والدى

لا يمكن أن يجد نفسه فى مأزق مماثل ، وبالتالى لن يقاسى من ضراوة هذا العذاب ، بل لن يجرؤ أحد أن يرشوه خوفًا من أن يتعرض لسخطه وثورته .

لا .. لا يستطيع أن يقارن نفسه بوالده .. مستحيل ..

ونهض عن الأريكة ، ودنا من صورة والده المعلقة على الحائط ، وناجاها : [أنت يا أبى تنعم بحياتك الأبدية .. أنت سعيد ، أما أنا فأشرب كأس علقمى حتى الثمالة ..

لقد هزأت بك فى قرارة نفسى .. أما أنت فقد اعتنقت حياة . اعتنقت المسيح .. ولعلك على حق] .

وبعد صمت كئيب تساءل : [ماذا أفعل ؟]

وكأنما هذا السؤال أضاء نفسه ، وإذا بغمامة سوداء تنقشع عن ذهنه ، وإذا بهذا السؤال يتضخم ويطغى على كيانه ويتحول إلى هتاف مدو : [ماذا أفعل .. ماذا أفعل ؟]

فوضع رأسه بين يديه ، وكأنه يسكت هذا الضجيج .. ثم هدأت العاصفة ، وخيِّل إليه أنه سمع صوتًا رقيقًا يهمس فى أعماقه : [افعل كما فعل والدك] .

فدُهشَ ، وتلفت حوله يبحث عن مصدر هذا الصوت .. فلم يدر كيف جثا على ركبتيه ، وكيف رفع عينيه إلى السماء يبتهل إلى الرب يسوع ، فادى كل مُعَّذب ومحرر كل خاطئ ، كى يغفر خطيته أولاً وينقذه من مأزقه .

خرجت من بين شفتيه كلمات متقطعة تعبِّر عما فى نفسه من بؤس ومرارة وشقاء وشوق إلى الخلاص ، ولم يعثر على الألفاظ الملائمة التى يمكنها أن تتحمل دفق الرغبات العميقة التى جاشت فى قلبه .

ولكنه ما أن نطق بها حتى خيِّم عليه شعور رائع بطمأنينة طالما تاق إليها ، وغمر محياه هدوء هنئ .

وأفاق من النشوة الروحية التى حلَّق فيها ، على رنين جرس باب

المنزل . لقد عادت زوجته من زيارة أختها المريضة . وبدأ يتساءل فى نفسه : ماذا يكون موقف زوجته حين تعلم الحقيقة ؟ أيطلعها منذ الآن على الأمر قبل أن تقرأ عن الفضيحة فى الصحف أو ينقلها إليها بعض ذوى الألسن الطويلة ؟

هل يمكنها أن تتحمل الفضيحة . وهى إحدى سيدات المجتمع المرموقات ؟

واختلطت فى رأسه الخواطر فأحس به يكاد ينفجر لقد تصالح مع ربه وعليه الآن أن يتصالح مع زوجته ومجتمعه . ولكن كيف ؟

وأخيرًا قرر أن لا يطلع زوجته على الحقيقة الآن فى انتظار ما يحمله إليه الغد .

ثم جثا على ركبتيه ، وصلى طالبًا العون من الرب . وفى اليوم التالى انعقدت جلسة المحكمة ، وبعد أن تولى الدفاع كل من محامى الشركة واتحاد تجار المفرق ، اختلى القاضى لحظة فى مكتبه ، ورفع قلبه إلى الله بصلاة حارة .

كان من الواضح أن الشركة التجارية تريد أن تحتكر تجارة الجملة وتفرض أسعارها على التجار الصغار والمواطنين ، وكان فى وسعها أن تجند مئات المدافعين عنها ، والراتعين فى بحبوحة ملايينها ، وتضفى على موقفها صفة الشرعية بفضل حكم قضائى من قاضٍ مرتش مثله ، ولكنه – وقد أصبح خليقة جديدة – لا يستطيع إلا وأن يحكم وفقًا لقوانين الحياة الجديدة .

لابد أن مدير الشركة التجارية وأعضاء إدارته تفعمهم الطمأنينة لأن مبلغًا كبيرًا من المال قد توَّطن فى جيب القاضى .

هكذا هم يظنون ، وقد كانوا على حق لو لم يتدخل المسيح .

ولما حان الوقت ليصدر الحكم .

- محكمة .

ووقف جميع الحاضرين فى قاعة المحكمة حتى جلس القاضى ، جلسوا هم أيضًا .

وخيِّم صمت على القاعة ، وتعلقت كل الأنظار بشفتى القاضى . وتلا القاضى حكمه .

فبدت الدهشة المرعبة على وجوه مدير الشركة التجارية وأعضاء إدارته ليحل محلها سخط رهيب ، وحقد مميت .

ولاح العجب على ممثل اتحاد تجار المفرق ، ثم ماجت على فمه بسمة ثقة ويقين .

وغادر القاضى قاعة المحكمة إلى مكتبه ، ولم يلبث أن سمع ضجيجًا فى الصالة الخارجية ، وصوت سكرتيرته المرتفع ، ثم صوت طرقات حادة على باب مكتبه ، فهتف :

- أدخل .

وبرز له من بين مصراعى الباب وجه غاضب ثائر راح صاحبه يتنفس بصعوبة وهو ينظر إلى القاضى بعينين شرستين تقطران موتًا.

أما القاضى فلم يحفل به ، بل ظل يتفرس فيه بهدوء وكأن الأمر لا يعنيه ، ثم قال له مدير الشركة بصوت مبحوح : [لماذا فعلت هذا ؟]

فرمى إليه القاضى الشيك ، وخرج مدير الشركة من المكتب متعثرًا بأذيال الخيبة .

ظل القاضى قابعًا فى مكانه كتمثال من المرمر فى انتظار مجئ محاسب الكازينو . إنه الآن لا يملك شيئًا من المال ، بل هو مدين بمبلغ كبير يصعب الحصول عليه .

إنه الآن يتوقع أن يفتضح أمره فى خلال أربع وعشرين ساعة .. وسيعرف الناس أنه قاض مقامر ، وبالتالى يُطرد من وظيفته ، ويفقد ثقة حتى الأقرباء .

ما أشبهه فى هذه اللحظة بالمجرم الذى ينتظر صدور الحكم عليه ، فما أصعب لحظات الانتظار هذه وما أرعبها .

وانقضت أكثر من ساعة من غير أن يطل عليه محاسب الكازينو ،

فاستولت عليه الدهشة وعزم على البقاء ساعة أخرى فى مكتبه ، فهو لا يريد من الرجل أن يأتى إلى منزله ليطالبه بالمال أمام زوجته ... لينتظر ، فالعاصفة لابد آتية .

وانقضت ساعة أخرى ولم يأت أحد .فازدادت دهشته ، وتفاقم قلقه، ولم يدر ماذا يفعل . وأخيرًا صلى فى قلبه إلى الله مُسَلِّمًا الأمر له .

وإذ همَّ أن ينصرف إلى بيته دخلت إلى حجرته السكرتيرة ، وسلمته رسالة قائلة : [أصر صاحبها أن أسلمك إياها قبل أن تغادر مكتبك ، وانصرف بسرعة] .

فتح القاضى الرسالة ، وإذا به يجد إيصالاً من الكازينو بالمبلغ المدين به ، ومع الإيصال الرسالة التالية : [سيدى القاضى ..

إن النزاهة التى تتحلى بها حتى فى أحرج الأوقات مثار إعجاب كل مواطن مخلص . فلقد استطعت ، فى هذا الصباح ، إبان المحاكمة ، أن تجازف بمستقبلك وحياتك وأبيت بكل أنفة ، أن تخون الأمانة الملقاة على عاتقك ، ورفضت أن تتنكر للعهد الذى قطعته على نفسك ..

والواقع يا سيدى ، إن الشكوك خامرتنا فى أمرك .. فلقد عرفنا أنك مدين للكازينو بمبلغ كبير من المال ، وأنك لا تملك الرصيد الكافى للإيفاء بهذا الدين ، وعرفنا أيضًا أن مدير الشركة التجارية قد رشاك بمبلغ يمكنك من تسديد دينك ، فكنا نترقب يوم المحاكمة بقلوب متوجسة فى انتظار حكمك الظالم لنعلن للرأى العام وللمسئولين فى الدولة حقيقة القاضى المرتشى الذى أخرس صوت الضمير لقاء مبلغ ملوث من المال .

لقد توفرت جميع الأدلة التى تدينك ، ولكنك يا سيدى ، قهرت ذاتك ، وانتصرت من غير اعتبار لفضيحة أو عار ، ولست أشك لحظة أن موقفك الذى أسفر عنه قرارك قد عرضك لأزمة ، بل لست أظن أن فى وسع أحد سوى القلة الضئيلة – أن تقاوم إغراء المال ، ولا سيما فى ظروف محرجة كالتى تمر بها . ولكنك بجلال القضاء ورفعته ، أعرضت عن المال ، وأصدرت حكمك الجرئ .

لـذلك يـا سـيدى ، لـن نرضـى أن نـرى قاضـيًا نزيهًـا مثلـك يـتلطخ بالفضيحة أو تُمَس كرامته ..

فقمنا بتسديد ما عليك من دين ، بحيطة وحذر ، وكأنما المال الذى دُفِعَ هو منك . وتقبل تقديرنا واحترامنا ،

... التوقيـع ...]

حدق القاضى إلى الرسالة الراعشة بين أنامله وكأنه لم يصدق ما قرأته عيناه .

أيمكن لهذه الغمامة المدلهمة أن تنقشع بمثل هذه السهولة ؟

أية ريح عاصفة حملتها بعيدًا عنه ؟

لا .. لا يمكـن أن يصـدق ، ولكنـه فـى قـرارة نفسـه أحـس بغبطـة وسعادة لا يمكن أن يُعبَّر عنها بالكلمات ، بل إن الرسالة مازالت ترتجف بين يديه وسطورها تتراقص أمام عينيه مضيئة كنجوم بارقة تخاطبه .. بلغة لا يفهمها إلا مَن كان فى ضيقة شديدة ، ثم نجا فى اللحظة الأخيرة .

ولم يتمالك نفسه ، فترقرقت فى عينيه دموع فرح صامتة كأروع تعبير عن قلب شاكر عجز عن النطق .

صديقـى القـارئ

إن الحرية الحقة المنقذة هى فى متناولك ومتناولى ومتناول كل قلب مشمئز من أدران الخطية ، وفى متناول الإنسان الذى يسعى دائمًا للتمرد على ذاته المستعبدة ، ليشرع فى رحلة الحرية الجبارة .

فالرب يسوع ما برح يدعو كل نفس تواقة لطرح قيود عبوديتها فى أرض غربتها ، ويمدها بالقوة الظافرة ، التى ما أخفقت يومًا فى تحطيم قيود الموت .

ربـى وإلهـى

- إن آتى إليك بروح خائرة تجثم تحت جسد ثقيل .

- ألتمس فيضًا من روحك ليحل فى قلبى الأسير فيحيل ضعفى قوة ، ويبعث الحياة فى داخلى .
- إننى جامد بليد .. مقيد بأهوائى .. محكوم بعصبيتى .. رافض .. متقلب .. مخادع .
- حررنى فأصير حُرًا .
- حرر عقلى من أفكار بالية وطقوس جامدة توارثتها الأجيال ، وأصبحت أنا أسيرًا لها وسجينًا فى أغلالها .
- أطلقنى من سجن عبادتى الشكلية إلى حرية الاستلهام من نور هديك ، والاسترشاد بروح قدسك .
- أطلقنى من سجن حريتى الزائفة إلى رحب حريتك الحقيقية .
- خلص روحى الأسيرة ، وغير فكر قلبى السليب وعقلى المخدوع ، لأعرف طريق الخلاص وطريق الحياة الأبدية .

يـــارب

٢ – أنـت حريتـى

ضاق الفتى بعيشه فى بيت أبيه ، فقرر الرحيل إلى دائرة أوسع من بيت العائلة الضيق . ولم يكن بيت العائلة ضيِّقًا كما رآه اليوم ، فقد كان هذا البيت نفسه – فى يوم من الأيام – هو الدنيا الواسعة بأرضها وسمائها ، لكنه أخذ يضيق ويضيق ، حتى أصبح كحلقة معدنية قاسية ، تضغط ضغطًا رتيبًا على عنق هذا الصبى الذى بلغ طور الشباب .

وقرر الشاب أن يفلت عنقه من تحت النير ، وأن يلقى بذلك الحمل الذى أحسه ثقيلاً كالجبل ، فخرج تاركًا وراءه رسالة وداع لوالديه ، ليبدأ مرحلة جديدة .

أرجو ألا تتسرع يا صديقى القارئ ، فتظن به الظنون ، أو تتهمه بالتهور والعقوق . ولكنك إن ظننت ذلك فلك بعض العذر ، فقد ترك وراءه أبًا حزينًا ، وأمًا محطمة وأخوة حائرين ، وخرج إلى عراء موحش بعد حصانة واقية ، وإلى شقاء موجع بعد حضانة حانية .

وأرجو ألا تتسرع أيضًا بإلقاء اللوم على البيت ، فلم يكن هناك تعذيب أو ضغط ، ولم يكن هناك تقتير أو قحط ، ولم يكن الأب بالسيد القاسى ، ولم يكن الابن بالجاحد الناسى أو المارد العاصى .

وخلاصة الأمر أن الشاب وُلِدَ لأبوين كريمين – أرادا أن يجنباه ما تعرضا هما له من متاعب الحياة ، فوفرا له نشأة طيبة وحرصا أن يسقياه من ينابيع خيراتهما الصافية ، وأن يزوداه بحصيلة معارفهما المنتقاة ، وأن يسيرا به فى الطريق الضيق المأمون والذى انتزعا أشواكه من قبل بأيديهما ، ومهداه بأقدامهما .

فلم يُسمَح له بالذهاب إلى موقع لم يتجسساه ، ولم يُترك للسير فى طريق لم يتحسساه ، ولم تمسك يده كتابًا لم يتفحصاه ، ولم تقع عينه على مشهد دون أن يرقباه ، فلا فضل له فى إتقاء شر ، ولا شكر له على انتقاء خير ، إذ لم تهضم معدته طعامًا عسرًا ، ولم تفك أصابعه خيطًا معقودًا ، ولم يواجه طريقًا مسدودًا ، أو يعالج بابًا مغلقًا .

وأحس الابن أنه أصبح مختلفًا عن أصدقائه فى كل شئ !

فهو يبدو بينهم كمَن يلبس حذاء أبيه وقناع أمه . أصبحت آراؤه التى تتسم بالحكمة والحيطة والحذر ، موضع سخرية الزملاء ، وتفكيره المتزن الذى يرعى العرف السائد والمألوف لا يلقى اهتمام الشباب ، وخط الوسط المأمون الذى يلتزم به جعله شخصية باهتة ليس لها وزن ولا تأثير فى اتخاذ القرارات ، أو توجيه الأحداث .

وأدرك الفتى المدلل أنه صار عصفورًا فى قفص من ذهب ، فأصبح حلمه المنشود أن يترك فراشه الناعم ، ليتمرغ فوق الشوك ، وأن يترك طعامه الفاخر ليمضغ الحنظل ويجرش الحصى ، فقد ظهر له المُر الذى يختاره بإرادته ، أشهى من العسل الذى يوضع له فى فمه .

فامتلأ قلب الشاب بالألم ، ثم الغضب ثم بالرفض ، ثم بالتمرد والعصيان !

لذلك لم يضعنا الله فى قفص

وهذا النموذج المتكرر فى حياة البشر ، يرينا حكمة الله فى إطلاق حرية الإنسان فى اختيار طريقه دون جبر أو إرغام " لكى لا يكون خيرك كأنه على سبيل الاضطرار بل على سبيل الاختيار " (فل ١٤) .

وقد كان الله قادرًا أن يسيج حولنا بسور لا تتخطاه أبصارنا ، ولا تتعداه أقدامنا ، ولا تعلو إلى منتهاه أفكارنا ، لكنه أراد فى حبه وحنانه أن يسلحنا بعقل وفهم وإدراك من فائض علمه الشامل ، وأن يضئ طريقنا بقبس من نوره الوضاح ، وأن يرشدنا ويوجهنا بهاتف من روحه القدوس ، ثم بعد ذلك كله يفتح أمامنا الأبواب ، ويسلم لنا المفاتيح والخرائط والبيانات التى تؤهلنا لاقتحام الحياة بأقدام ثابتة وعقول مستنيرة .

ولنا أن نعجب وندهش حين نرى أقدامنا تقودنا بعد ذلك إلى خارج الروضة الإلهية ، ونرى أقدامنا تزحف فوق أشواك الشر ، ونرى نفوسنا تتلطخ بأوحال الدنايا ..

وقد صارت إرادتنا الحرة مستعبدة لرغباتنا الجامحة ، وأصبحت حرياتنا المطلقة هى بذاتها سجوننا المغلقة !

فأجسادنا تلهو ونفوسنا تتعذب .

لكنه وضع لنا حدودًا

ليس هناك حرية من الحريات لا تحدها حدود ولا توجد حديقة فى الحياة ليس بها شجرة محرمة .

وقد يصعب علينا أن نتفهم أو نستمتع بحريتنا الطبيعية دون أن نتمثل قصة الثمرة المحرمة ..

ونفهم فلسفة وجودها فى حياتنا .

فهذه الثمرة تبدو وكأنها النقطة السوداء فى صفحة حريتنا المنطلقة ، نراها لونًا من الحرمان الذى يحجب الاستمتاع الكامل بالحرية الشاملة .

نتخيلها رأس السد الجبار الذى يصد انطلاقنا ، وقضبان السجن الذى يصادر حريتنا .

ونحن حين ننظر إليها هذه النظرة الشاكية المتذمرة ، فقد يطول انتظارنا قبل أن نختبر معنى الحرية الحقيقية ، ونكون كالطفل الذى جلس على شاطئ البحر ينتظر حتى يجف ماؤه ليلتقط قطعة الحلوى التى سقطت من يده ، وكان بوسعه أن يستمتع بالقطع الكثيرة التى تملأ يديه .

إن إصرارنا على تخطى الحدود ، وتذوق الثمرة المحرمة ، يحرمنا الاستمتاع بكل ثمر الجنة ..

فنكون كالمغامر الذى ينفق كل ما معه من نقود على مائدة القمار ، لعله يسترد العملة الصغيرة التى فقدها أول الليل ، فيخسر المقامرة ويفقد الاثنين معًا .

خطوة خارج حدود حريتنا

فالحرية التى خلقنا الله عليها – هى حرية الاختيار بين ما يليق وما لا يليق ، والتمييز بين ما هو حق لنا ، وما هو واجب علينا .

فإذا استبحنا حقوق الآخرين، وإذا أطلقنا العنان لرغباتنا بلا حدود ، فإننا نعرض أنفسنا لكثير من المهانات والمخازى ، فنذبح حريتنا على مذبح شهواتنا .

فالإنسان الحر قد يتحول فى لحظة من الزمن إلى لص دنئ ، بمجرد إطلاقه لرغبته فى تناول شئ ما من ممتلكات غيره ، ويتبع ذلك إحساس بكثير من القيود التى يقيده بها المجتمع ، وكثير من القيود التى يقيد بها نفسه .

إذ عليه أن يتفادى عيون الشرطة وعيون الناس ، وعليه أن يتقبل فى صمت كل ما يتعرض له من مهانة وازدراء ، لو أنه عرف حدود حريته لحفظ هذه الحرية من الضياع .

ولو أننا تأملنا حياة كثيرين وراء قضبان السجون ، لوجدنا أن خطأهم الأول هو تخطى حدود حرياتهم المشروعة إلى ساحة حريات الآخرين .

إن الخطوة الأولى خارج أسوار حريتنا الشخصية قد تحرمنا حريتنا إلى الأبد ..

فمثلاً .. من حق الإنسان أن يفكر ويتكلم ، وله دائمًا حرية الفكر والقول ، لكنه إذا خطا خطوة خارج حدود الصدق ، فأطلق لسانه بالكذب أو بسب الآخرين ، فإنه يفقد الآذان المنصتة له ويصبح كلامه مقيدًا محبوسًا بازدراء الناس وإهمالهم .

ومن حق الإنسان أن يأكل ما يشاء ، وله حرية انتقاء طعامه وشرابه ، فإذا خطا خطوة واحدة فى ساحة الشره فى الأكل وعدم ضبط البطن ، فإنه يجد حريته مقيدة بمحاذير طبية والتزامات علاجية .

ومن حق الإنسان أن يتاجر ، ولـه حريـة البيـع والشراء والمكسب ، فإذا خطا خطوة نحو الجشع ..

فإن أقل ما يمكن أن يتعرض له هو إحجام الناس عن التعامل معه، فيفقد حريته فى العيش من مهنته كسائر رفقائه ومنافسيه .

إن خطوة واحدة خارج حدود حريتنا التى وضعها الله لنا – لابد أن يتبعها الندم والألم .

ربـى وإلهـى

- تحكمنى خدعة كبيرة هى ظنى أننى ملك لنفسى ..

لذلك فإننى أستلهم هذه النفس ، أستنصحها ، أفعل ما يروق لها .

- صرختى التقليدية [أنا حُرٌّ] ..

قادتنى إلى الوحل .

- أصبحت حريتى المزعومة ممطوطة ممدودة كفم الحوت ، تبتلع الصغير والكبير .

- الحى والميت – الصالح والفاسد .

- خرجت إلى الحياة أبحث عن مزيد من الحرية ، فعدت إلى قوقعتى بمزيد من القيود .

- فحررنى يارب بسكناك فى قلبى ، حتى يشبع القلب بك ..

فتكون أنت نصيبى وغايتى ..

وتكون أنت قيدى وحريتى ..

يـارب

الحريـــة
هى
الشـراع

٣ – ضوابـط الحريـة

يتصور الكثيرون أن الحرية هى انطلاق الجسد ، وتحقيق رغباته بلا عوائق أو قيود . والصورة التى ترتبط بالأذهان هى صورة الطائر المنطلق فى الهواء حرًا طليقًا وليس محبوسًا فى قفص يقيد حريته وانطلاقه .

وهذه الصورة البراقة الحالمة للحرية بمعنى الانطلاق الذى لا تقيده القيود هى صورة خادعة ، لا تكشف سوى عن جانب واحد يخفى وراءه الكثير ..

ومن أمثلة ذلك :

☜ الطائر والقطار

ينطلق الطائر فى الفضاء بلا قيود على حين ينطلق القطار فى مسار محدود لا يخرج عنه. فخروجه عن قضبانه يعتبر كارثة وخرابًا.

ومع ذلك فإن حرية القطار المقيدة بأشرطة السكك الحديدية أوفر من حرية الطائر المنطلق على هواه .

فالطائر لا يطير ليمارس حريته فقط بل ليلتقط طعامه وطعام صغاره ، وهو يطير ليتفادى سهام الصيادين ، وهو يطير ليراوغ الطيور الجارحة والأفاعى التى تصعد إلى عشه .

إن حريته تقيدها قوانين كثيرة ، ومخاطر عديدة ، فليس من حقه أن يثبت رأسه فوق جسده لحظة واحدة ، بل عليه أن يدير رأسه فى كل اتجاه ، ويرسل عينيه فى كل صوب . وليس باستطاعته أن يضع قدمه بأرض دون أن يكون عرضة للقتل أو الأسر .

وينطبق هذا على أسماك البحر وحيوانات الصحراء الطليقة .

ولو تأملنا الطبيعة لما وجدنا حرية لا قيد عليها ، وهو القيد الذى يصونها ويحميها من الضياع ..

حتى الكواكب فى أفلاكها تتحرك فى نطاق قوانين دقيقة صارمة ، لولاها لاحترق الكون بأسره .

وهذه حكمة الله الذى يحمى حرية الطائر بالأجنحة ، ويحمى الكواكب بالقوانين الصارمة ، ويحمى الإنسان بعقله وإرادته الحرة .

حكمة المنطاد

عندما أطلق الأخوان (مونجولييه) منطادهما المملوء بالهواء الساخن ، ارتفع فى ثوان معدودة إلى الفضاء البعيد ، ولم يعد إلا بعد أن برد الغاز ، فسقط المنطاد وسط الحقول فمزقه الفلاحون الذين أرعبهم اندفاعه .

فقد كان من المستحيل أن ينطلق هذا الجسم الهائل بلا ضوابط ، ثم يعود سالمًا إلى الأرض لقد كان منطادًا خفيف المحتوى ، يحمله الهواء إلى غير هدف .

فلما أريد له أن يكون نافعًا مهدفًا ، وضعت فيه الأثقال التى تحد من اندفاعه وتقنن سرعته .

كان لابد أن تقيد حريته من أجل سلامته .

إن بعض الناس يشبهون منطاد (مونجولييه) تسيطر عليهم ريح ساخنة من الرغبات تملأ أجوافهم ..

فما أن تطأ أقدامهم أرض الحرية حتى تحملهم الريح إلى جوف الفضاء الموحش والعواصف العاتية والتيارات المضادة فيسقطون ويتمزقون .

الحرية الحقيقية

الحرية الحقيقية ليست الحق الذى يجيز للإنسان أن يمارس الشر ، بل هى الحق فى الارتفاع عن دنايا النفس وشهواتها وأطماعها إلى آفاق عالية من السمو الروحى والإنسانى .

إنها القوة التى تجعل العبد حرًا ، والحر قديسًا أو شهيدًا على اسم يسوع المسيح .

إننا نصبح أحرارًا حقًا حين نتحرر من أنفسنا من الاندفاع وراء رغباتنا .

أخى القارئ

هل بمقدورك أن تكبح جماح شهوتك وتحترم كرامتك وحرية إرادتك التى ميزك الله بها عن سائر حيوانات الأرض ؟

نعم تستطيع ..

فالله قد منحك الحرية ولكنك لن تحقق حريتك ما لم تكن على علاقة وثيقة بالرب .

يوجد بالفعل وجهتان أساسيتان يمكن للإنسان أن يختار فيما بينهما: إما أن يعيش لنفسه .. أو يعيش لله .

فإذا اخترت بقلبك أن تعيش لنفسك بحسب الطبيعة ، فلن يتم أبدًا إشباع احتياجاتك الشخصية إلى التمام ، طالما أنت بعيد عن شركة الله والآخرين ..

فإنك باستبعاد الله تستبعد المصدر الوحيد للشعور الحقيقى بالمعنى والزمن ..

ويا له من مفهوم ملتو عن الحرية لدى البشر ، والبشر فقط هم القادرون على استبعاد الله من حياتهم .

نحن الآن أحرار نختار حياة الطاعة لأننا نفهم الآن أننا فى المسيح أشخاص لها قيمة ولحياتنا معنى .

ولنا مطلق الحرية فى أن نعبر عن امتناننا للذى أشبع احتياجاتنا فى عبادتنا وخدمتنا له .

الحرية الحقيقية
ليست بأن يعمل
الإنسان ما يريد
، بل فى أن
يعمل الصالح

٤ – الرب يحررنى

كان يوسف الصديق بعيدًا عن بيت أبيه وعن عيون الرقباء ، لكنه كان يعرف أن حرية نفسه وضميره أغلى من كل كنوز العالم . لذلك فقد ظل قويًا أمام الضغوط ولم تستطع الشهوة أن تكبل حريته .

وحين أُلقى وراء قضبان السجن ظل حرًا طليقًا برغم القيود . كان ظاهره سجينًا وواقعه حُرًا طليقًا .

لقد كان الله فى قلبه فلم يمل القلب .. وكان الله أمام عينيه فلم تزغ العين . وهذه هى الحرية الحقيقية .

إن الحرية لا تُشترى بمال أو عقار ، فثمنها فوق مقدور البشر . والحرية التى أقصدها ههنا هى حرية الإنسان من سلطان شهوته ومطاليب جسده .

إن الله الذى يرى انكسارنا أمام عاداتنا وخطايانا التى سلبتنا حريتنا وباعتنا فى سوق الشهوة .

إنه وحده الذى يستطيع أن يحرر الأجساد المستعبدة ، وينشط العقول الخاملة ، ويدفع الرغبات الجامحة ، ويخلق الأرواح اليقظة .

إن الله هو الذى يسند الخائر والخائف والضعيف ، فيخلق فى داخلهم إنسانًا جديدًا أقوى من الضعف والخوف والشهوة .

الله وحده الذى يحل فى الإنسان المستعبد المغلوب فيحرره ويعطيه الحرية الحقيقية التى تدوس الشهوات ورغبات الجسد .

إن حررنا الله صرنا أحرارًا حقًا فهو يدفع الثمن عنا . وإن لم يحررنا الله فسنظل عبيدًا لشهواتنا ، فالثمن فوق قدرتنا .

" إن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحرارًا " (يو ٨ : ٣٦) .

إن الحرية التى أعطاها الله لنا كان ثمنها غالى ، فقد كلفته آلام شديدة ، وكلفته سفك دمه فوق رابية الجلجثة .

لقد جاء السيد المسيح ليحررك .

جاء لينادى للمسبيين بالعتق وللمأسورين بالاطلاق ، ويرسل المنسحقين فى الحرية .

إن تحررنا بالابن صرنا أحرارًا بالحق ، حتى إن كان البعض موثقين بصك عبودية البشر .

فالحرية حرية القلب وانطلاق الروح وتطهر النفس وإن كان الجسد مستعبدًا .

الحرية تجديد للسلوك والوعى والبصيرة .

الحرية هى العطية الكامنة فى قلب كل بشر ، تتلمس ما يحفزها لتتفجر حياة فى مسالك البر ودروبه .

الحرية الحقيقية ،
أجنحة يحلق بها
الإنسان ،
ويرتقى إلى عنان

٥ ــ دعوة للحرية

فى الخرائب التى نتجت عن بركان (فيزوف) وُجِدَ هياكل عظمية لأربعة مساجين فى القيود .

حيث إنه لما زمجر البركان وأخذ يردم المدينة برماده وحممه ، رأى السجان الذى كان يحرسهم الخطر ففتح الباب وفر هاربًا أما هم فبقوا فى قيودهم .

ولكن العجيب أنه وُجِدَ بالقرب منهم المفتاح الذى يفتح أغلالهم ويفك قيودهم ،ومع أن المفتاح كان على مرأى البصر يدعوهم للحرية ، لكنهم لم يروه ، فظلوا فى أماكنهم مقيدين حتى قضى عليهم إلى أن اكتشف المكتشفون هياكلهم العظمية على هذا الحال .

وكم من كثيرين بقيود وأغلال الخطية والدعوة للحرية قريبة منهم أقرب مما يتصورون ، لكنهم يظلون مقيدين مستعبدين لأنهم رافضون لقبول التوبة والحرية ، لذا فهم مستمرين كأسرى الخطية والشر .

إنها دعوة للحرية :

" روح الرب علىَّ لأنه مسحنى .. لأنادى للمأسورين بالإطلاق .. وأُرسل المنسحقين فى الحرية " (لو ٤ : ١٨) .

" وتعرفون الحق والحق يحرركم " (يو ٨ : ٣٢)

" فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحرارًا " (يو ٨ : ٣٦) .

صديقى القارئ

لا حرية إلا بالرب الذى يحررك من كل القيود والأغلال التى تقيد حركتك ، وتمنع مسيرتك فى طريق الرب نحو الملكوت .

هو وحده القادر أن يفك أسرك ويعتقك " من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله " (رو ٨ : ٢١) .

لقد خـُلِقَ الإنسـان حـرًا ، ولكنـه بعـد السـقوط أصـبح مكـبلاً بقيـود الخطية و العادات الرديئة .

وقد جاء الرب يسوع ليسقى البشرية العطشانة ، من أعظم نبع فجره وغمر به الطبيعة وهو نبع الحرية .

إن الرب يسوع يحررنا ويفك قيودنـا ، فهو يعطـى استنارة للذهن ، وتهليلاً للروح ، وسلامًا للنفس ، وصحة للبدن ، وينشط ابداعتنا ، ويزيد ثقتنا به وبأنفسنا ، ويجدد رجاءنـا فيـه ، ويغمرنـا بمحبتـه .. بهذه الأمـور يحررنا .

☜ لا يكف عن دعوتنا

بينما نجد الشيطان يقتحم بيت الإنسان وينهبه كلص بدون استئذان (مت ١٢ : ٢٨ – ٢٩) .

نجد الرب يسوع الوديع المتواضع ، وهو صاحب البيت " وبيته نحن " (عب ٣ : ٦)

يقف على الباب ويقرع بلطف مستئذنـًا حرية الإنسان ليفتح لـه إذ يدعوه قائلاً : " هأنذا واقف على الباب وأقرع . إن سمع أحد صوتى وفتح الباب أدخل إليه " (رؤ ٣ : ٢٠) ، وكأنه يدعونا كمحتاج إلينا ، مع أننا نحن المحتاجون إليه ..

ويلتمسنا كفقير ، مع أننا نحن الذين نستغنى بفقره .

ويقف على باب قلبنا كشحاذ يسأل حبنا ، مع أنه هو الذى أحبنا أولاً . ويستجدى التفاتنا نحوه ، مع أنه عينه علينا من أول السنة إلى آخرها .

يقول القديس (مار اسحق) فى هذا الصدد : [الله فى محبتـه الفائقة لنا لم يشأ أن يغصب حريتنا لكى نتبعه – فى حين أن لـه القدرة أن يفعل ذلك – ولكنه أرادنا أن نأتى إليه بكامل محبتنا القلبية ورغبتنا وحدها .. ولذلك لا يكف عن دعوتنا إليه] .

إن عبودية
الخطية هى
أخطر أنواع
العبوديـــــة ،
والتحرر منها
هو أعظـم

٦ – قلبى حـُر

سُجِنَت الأديبة الفرنسية (مدام غِيُون) من أجل إيمانها بالمسيح من سنة ١٦٩٥ م إلى سنة ١٧٠٥ م – وقبلت بفرح إرادة الله على أنها لخيرها ، فقد كتبت تقول : [قضيت أوقاتى فى سجن قنسان وأنا أشعر بسلام عظيم . ورنمت ترانيم الفرح التى علمتها لخادمتى عن ظهر قلب .

ورنمنا نحن الاثنتين تسبيحك يا إلهى . وحجارة جدران سجنى شع منها النور إلى عينى كما لو كانت حجارة كريمة . وقلبى امتلأ بذلك الفرح الذى تعطيه للذين يحبونك وهم يحملون أثقل صلبانهم] .

وفى هذه المناسبة ذاتها كتبت (مدام غِيُون) قصيدتها الرائعة التالية : [أنا عصفور صغير ، زُجّ فى السجن بعيدًا عن حقول الهواء ، ومع ذلك فأنا أجلس فى قفصى وأرنم لذاك الذى وضعنى هناك ، ويسُرنى أن أكون سجينة ، لأن ذلك يا إلهى يسرك .

ليس لى ما أفعله غير أن أرنم اليوم بطوله ، وذاك الذى كل سرورى أن أرضيه يصغى إلى ترنيمى .

أمسكنى وربط جناحى ومنعنى من الطيران ، ومع ذلك ينحنى ليسمعنى أرنم .

قفصى يحيط بى فلا أستطيع الطيران ، ومع أن جناحى مقيد فإن قلبى حُر ، لا تقدر قضبان سجنى أن تمنع نفسى من الطيران بحرِّية .

آه .. ما أحلى الارتفاع فوق هذه الأقفال والقضبان إلى ذاك الذى أُعظِّم قصده وأحب تدبيره .

ففى إرادتك الجبارة أجد الفرح وحرية الفكر] .

حقًا .. إن أولاد الله وخدامه أحرار .. ولو داخل السجون ، وأولاد العالم مسجونون داخل حريتهم . فأولاد الله لا تقيد حريتهم سلاسل ومتاريس ولا الأسوار تحبس انطلاقاتهم .

ليس السجن هو سجن الأسوار ، لأن الأسوار قد تعيق الحركة ، لكنها لا تعدم الإنسان الحُر حريته ..

إنما كثيرين سجناء بلا أسوار ، إذ أن حريتهم صارت مقيدة بسلطان العادات والمكيفات .

الحرية كنز مخبأ داخل النفس ، قائم فى الفكر ، لا يمكن أن يأخذه أحد ،

٧ – فـى ظـل الحريـة

أرأيت – أيها القارئ الحبيب – طائر مغرد يصدح عند الفجر فوق الأغصان بصوت جميل عذب .

خـُذ هذا الطـائر إلـى بيتـك وضـعه فـى عش نـاعم ، واسمعه يغنـى ويغرد ، لعله يستمر فى التغريد والشدو ، ولكن عذوبـة الصوت تختلف ورنات الطرب تختفى .

ذلك لأنك حرمته الماء والهواء والسماء ، ونزعتـه من الوسط الذى يحلو فيه الشدو والإنشاد ، حيث كان يحيا حُرًا طليقًا .

إن الحياة تفقد جمالها وبهجتها بدون الحرية التى أعطاها الله لأولاده – حرية مجد أولاد الله .

فإذا استُعبِدَ الإنسان للخطية ، وصار أسيرًا لشهواته وسجينًا لآثامه ، ينقطع منه شدو الأغنية ، ويصير حزينًا مكتئبًا .

فإذا سُلِبَ من الإنسانية ماءها وهواءها وسماءها ، فإن نبراتها تخفت . ومـاء حيـاة الإنسـانية هـو الـرب يسـوع ينبـوع المـاء الحـى ، وهـواء الإنسانية هو الروح القدس ، وسماء الإنسانية هو الله .

إن الخاطئ مأسور ، وإن كـان أسرًا روحيًا ، فمهما رأى وسمع لا يُسر ولا يفرح قلبه ، مثل شعب اسرائيل أيام السبى ، كانوا جالسين علـى أنهار بابل التى تحيط بها أشجار الصفصاف الجميلة .

ومع هذا لم تسرهم تلك المناظر الجميلة ، بل نراهم وقد مزجوا ميـاه النهر بدموع الحزن والألم ، وعوض أنغام الطرب علت أصوات البكـاء .

لقد انقطـع من أفواههم شدو الأغنيـة واختفت رنـات الطـرب ، وهـم يقولون : " علـى أنهار بابل هناك جلسنا . بكينا أيضًا .. على الصفصاف فـى وسطها علقنـا قيثاراتنـا ، لأنـه هنـاك سـألنا الـذين سبونـا كـلام ترنيمـة ومعـــذبونا ســـألونا فرحًـــا قـــائلين رنمـــوا لنـــا مـــن ترنيمـــات

صهيون . كيف نرنم ترنيمة الرب فى أرض غريبة " (مز ١٣٧ : ١ – ٤) .

والسبب أن الفرح ليس له مكان فى ظل العبودية ، بل ينشأ ويترعرع فى ظل الحرية .

الحرية مناخ طبيعى للحياة

٨ – ما هي الحرية ؟

قال أحد الغواصين أنه عند قيامه بالبحث فى أعماق البحار ، عن الأسماك النادرة والغريبة ، التى يُستفاد بوضعها فى أحواض الزينة ، وأحواض تربية وعرض الأسماك بالمتاحف المائية ، فإنه وجد أن أروع هذه الأسماك هو (سمك القرش) .

إذ عندما تمسك بسمكة صغيرة من هذه الأسماك ، وتضعها فى حوض ، فإن حجمها لا يزيد ، وتبقى فى حجم يتناسب مع أبعاد الحوض الذى وُضِعَت فيه .

والعجيب جدًا فى هذه الأسماك ، أن الواحدة منها قد لا يتجاوز

الأذن إلى مسرات العالم .

الحرية هى أن يتحرر المؤمن من محبة العالم والأشياء التى فى العالم . إذ قد تقطعت الربط التى تشده إلى الأرض ، فيرتفع بالحب الذى فى قلبه للمسيح .. إلى فوق ويتمتع بحياة سامية فى رفعة مجيدة .

الحرية كلمة جذابة ، لها تأثير كبير ، وهى أولى علامات التقدم والرقى ومبادئ حقوق الإنسان .

الحرية الحقيقية تجدد العالم كله .

لا توجد حرية بدون محبة ، فبدون المحبة هناك خوف من أن تتحول الحرية إلى عبث وإلى لا مبالاة ، وإلى عدم احترام للآخر .

وهنا يحذرنا القديس بولس الرسول قائلاً : " فإنكم إنما دُعِيتم للحرية أيها الإخوة . غير أنه لا تصيروا الحرية فرصة للجسد ، بل بالمحبة اخدموا بعضكم بعضًا " (غل ٥ : ١٣) .

فالمحبة هى التى تحفظ الحرية ، وتقودها فى الطريق الصحيح .

يقول الآباء

الحرية هى أحد عناصر الصورة

٩ – الحريـة الزائفـة

منذ عدة سنوات ، كانت سفينة تجارية تحمل عددًا كبيرًا من الطيور . وفى وسط المحيط هرب طائر من قفصه وأخذ يحلق فى الفضاء سعيدًا لأجل انطلاقه من الحبس وشعوره بالحرية .

لكنـه لـم يجـد لـه مقرًا لقدميـه فـى هـذا الفضـاء المتسـع ، فعـاد بعـد ساعات وهو فى أشد حالات التعب والإعياء ، وما كاد يصل إلى السفينة مرة أخرى حتى شعر بالهدوء والراحة .

وكثيرون مثل هذا الطائر يبحثون عن الحرية خارج نطاق السفينة (الكنيسـة) ، ويفرحـون بتحـررهم مـن قيـود العبـادة ، بعـد أن زيَّـن لهـم الشيطان حرية أهل العالم وتمتعهم بالملذات ، فإذا بهم لا يجدون راحـة ، ففرح الفاجر إلى لحظة (أى ٢٠ : ٥) .

أليس هذا ما فعله الابن الضال الذى بحث عن الحرية بعيدًا عن بيتـه وحضن أبيـه ، فبعد أن تمتـع بـالولائم والملذات كـان فرحـه إلـى لحظـة ، فإذا به يشعر بالجوع ويشتهى طعام الخنازير فلا يجده .

ولم يجد راحته فى هذه الحرية الزائفة ، فعاد إلى بيته وحضن أبيه .

قد يقول إنسان : [أنا حُر ، أفعل ما أريد] .

وهو فى نفس الوقت يفعل الشر والدنس .

حقًا .. لقد خُلِقَ الإنسان حُرًّا ، وعلى أساس حريتـه سيُحاسب علـى كل أعماله ، إن كانت خيرًا أم شرًا .

ولكنها الحرية المنضبطة ، وليست المنفلتة .

الحرية الحقيقية – فى المفهوم المسيحى – هـى التحـرر مـن سلطان الخطية ومن العادات الرديئة .

وفى ذلك يقول القديس بولس الرسول : " أنتم عبيد للذى تطيعونـه إما للخطية للموت أو للطاعة للبر " (رو ٦ : ١٦)

" فاثبتوا إذا فى الحرية التى قد حررنا المسيح بها ولا ترتبكوا أيضًا بنير عبودية " (غل ٥ : ١) .

" فإنكم إنما دعيتم للحرية أيها الإخوة . غير أنه لا تـُصَيِّروا الحرية فرصة للجسد " (غل ٥ : ١٣) .

ويقول القديس بطرس الرسول : " كأحرار وليس كالذين الحرية عندهم سُترَة للشر بل كعبيد الله " (١ بط ٢ : ١٦) .

" واعدين إياهم بالحرية وهم أنفسهم عبيد الفساد . لأن ما انغلب منه أحد فهو له مستعبد أيضًا " (٢ بط ٢ : ١٩) .

أخـى القـارئ

اسأل نفسك : [هل أنا حُر ، أم أنا عبد لعادة سيئة ؟]
فإن كنت مستعبد لعادة سيئة . يكون السؤال الآن : [كيف أتحرر منها ؟]
والحل سهل ..
تعال الآن – للرب يسوع – ليحررك منها . ارتبط فورًا بوسائط النعمة وهى قادرة أن تخلصك منها بسهولة . كما حدث للكثيرين قبلك .

يخطئ مَن يظن أن الحرية هى إطلاق العنان للإنسان ليفعل ما يريده أو يشتهيه .

إن الضوابط التى توضع على الحرية هى لفائدتك وليست لتقييدك .

ومن فائدتها أنها تمنعك عن الإضرار بنفسك ، ومن الإضرار بغيرك . ومن مخالفة وصايا الله .

إن النهر له شاطئان ، لا يقيدان جريان مياهه ، إنما يحفظانها .

وإذا لم تكن للنهر شواطئ ، فإن مياهه تنسكب وتفيض على الجانبين ، ويغرق الأرض ويحولها إلى مستنقعات .

أتـرى يستطيع أى نهر أن يحتج على وجود شاطئين له يحفظان مياهه ، ويقول أنهما يقيدان حريتى ؟

☜ كذلك أنت

الشاطئان بالنسبة لك هما وصايا الله ، والتقاليد أو التربية ، وكلاهما لفائدتك .

فالطفل الذى يرفض التربية ويحسبها تقييدًا لحريته . والشاب الذى يرفض نصيحة أبوية أو مرشديه ، ويرى ذلك تقييدًا لحريته ، لابد أنه سيفسد ، ويفقد الطريق السليم السوى ، ويضل .

التى تعود عليك وعلى غيرك من جراء عملك فلست حرًا بل همجيًا!

يقول (فولتير) : [كم باسم الحرية يُساء إلى الحرية] .

أفضل حرية هى الخضوع للخير عن رضى وسرور .

وقد أوضح القديس بطرس ما يقوم به قوم من الخلط بين الحرية الحقيقية والحرية المزيفة ، فقال عنهم : " واعدين إياهم بالحرية وهم أنفسهم عبيد الفساد لأن ما انغلب منه أحد فهو له مستعبد أيضا " (٢ بط ٢ : ١٩) .

لو تأملت معى – أيها القارئ الحبيب – لتبين لك أنه لا يوجد حرية كاملة .

فالإنسان ليس حرًا فى أن يعمل ما يشاء ؟

أليس الإنسان خاضعًا لقيود الجسد ، وقيود النظم الاجتماعية ، وطقس البلاد التى يعيش فيها ، وحدود هذه الأرض التى تقله ؟

هل يستطيع أن يرتفع بأجنحة إلى المريخ ؟

الله ومشروعًا فى نظر المجتمع ، وموافقـًا لقيم الضـمير السليم . وأن لا ينطوى ما أفعله على أى ضرر للآخرين .

فقد يقول قائل : [أنا حُر أن أدخن السجائر] ، ولكنك لست حـرًّا أن تلوث الهواء لمَن حولك الذين لا يدخنون .

الحريـة الحقيقيـة هـى التحـرر مـن كـل فعل يتنـافى مـع تحقيـق البـر والحق والخير والكمال .

تقول ([illegible] .. كم من جر [illegible]

أنت حُر فيما لا

١٠ ــ سجنـاء أنفسهـم

كـاهن تقى لطيف مشـهور ذهـب ليـزور أحـد السـجون ، وفـى حـوار هادئ مع أحد المسجونين قام بسؤاله : [لماذا أنت هنا ؟]

فأجابه : [لأننى لا أستطيع أن أخرج من هنا] .

توجـد فئـات مختلفـة مـن السـجناء بالاضـافة لهـؤلاء الموجـودين فـى إصـلاحيات المنحـرفين ، إلا أنـه يوجـد أيضـًا هؤلاء الـذين لا يُحجـزون وراء القضبان إذ إنهم يسيرون فى الشوارع بدون قيود أو سلاسل ، ومع ذلك فهم ليسوا أحرارًا ، هم مسجونون بقضبان أعمالهم ، ومقيدون بقيـود غير منظورة وضعوها لأنفسهم .

كثيرون لا يعبأون بفرص متاحة لهم ، ليستيقظوا وقد وجـدوا أنفسـهم سجناء تفاهتهم ، رؤيتهم الضحلة ، عـاداتهم الرديئـة الصـغيرة التـى تكبـر وتكبر إلـى أن تصـير قيـودًا وأغـلالاً ، ثـم تصـرخ نفوسـهم المحطمـة مـن داخل سجونها : [أيها الرب ! هذا مُروِّع ! هذا خانق ! هذا يقتلنى ، يجـب أن أخـرج ! لا يمكننـى أن أسـتمر هكـذا ! أعصـابى لا تحتمـل ! يجـب أن أتحرر !]

يقول (هنرى فان ديك) : [الذات هى السجن الوحيد الذى يمكنه أن يربط النفس] .

كـم أن هـذا صـحيح ! نحـن الـذين نصـنع لأنفسـنا أسـوأ السـجون .. سـجون المخـاوف ، والمشـاعر الدونيـة ، وصـغر الـنفس ، والقلـق ، والمخدرات ، والتدخين ، والخمر ، والقمار ، واليأس .. إلى غير ذلك .

يقول (روسو) : [خُلِقَ الإنسان حرًّا ، ولكنه أصبح فـى كل مكـان مقيدًا] .

ذات يوم صعد طفل له من العمر خمس سنوات إلـى (وابـور زلـط) وضغط على زر الرافعة كما كان يرى السائق يعمل فـى المعتـاد ، فأخذ الوابور فى مسيرته حيث سحق خمس عربات فى طريقه ..

وعندما سُئِلَ الطفل عن الحادث أجاب : [كنت أعرف كيف تبدأ المعدة فى المسير ، ولكننى لم أستطيع إيقافها] .

هكذا هو الحال بنا ، نستطيع أن نبدأ ولكن لا نستطيع أن نتوقف .. نبدأ بحرية اختيارنا ، ولكننا نستمر فى اختيار الشئ الخطأ إلى أن يسود علينا فى النهاية ، ولا تكون لنا حرية فى تركه فيما بعد .

مدمن المخدرات مستعد أن يعطى أى شئ مقابل أن يتحرر ، ولكن عادته اقتنصته .

والسكير فى ساعات الصحو يكره نفسه بسبب الجحيم الذى أوجده فى منزله ، ولكن صارت زجاجة الخمر مثل قيد لا يستطيع أن يتحرر منه .

هكذا بالضبط فى حالة المقامرات وما إلى ذلك من آخرين كثيرين يعيشون فى سجون صنعوها لأنفسهم ، حيث لا فائدة للكلام مع مثل هؤلاء للإصلاح والتجديد ، لأنهم سُجِنوا فى زنزانة اليأس وفقدان الأمل .

هؤلاء يحتاجون أن يتحرروا ، وهؤلاء الذين نصلى من أجلهم فى صلاة المرضى عندما نقول : [الذين فى السجون أو المطابق .. أو المقبوض عليهم فى عبودية مُرَّة ، يارب اعتقهم جميعًا وارحمهم ، لأنك أنت الذى تحل المربوطين] .

الرب يسوع هو وحده الذى يستطيع أن يُحطم السلاسل غير المرئية التى ربطنا بها أنفسنا . ما لا يستطيعه أحد أن يعمله يستطيعه الرب .

يصرخ مرنم اسرائيل الحلو (داود) إلى الرب قائلاً : " أخرج من الحبس نفسى " (مز ١٤٢ : ٧) .

وأيًا كان هذا النوع من السجن الذى صنعته لنفسك ، وأيًا كان نوع العبودية الذى أنزلته بنفسك ، توجد فى الرب يسوع قوة كافية لتقهره وتتغلب عليه .

ربى وإلهى

- أنت تعلم أنه لا يوجد واحد فينا بلا سجن أو قيود .

- تعال من فضلك ، أخرج من

١١ ــ اثبت فى الحرية

فى سوق إحدى القرى الهندية حيث أحضر الباعة سلعهم للبيع ، وجلب فلاح سربًا من طير السلوى ..

وربط خيطًا برجل كل طائر ، وربط الطرف الآخر من كل خيط بحلقة وتد فى الوسط .

فأخذت الطيور تسير فى خط مستدير مثل البغال التى تدور حول الساقية ..

ولم يشترى منه أحد من هذه الطيور ، حتى جاء إليه كاهن يؤمن بحق الحياة لجميع المخلوقات ،(فأشفق) قلبه الحنون على تلك الطيور الضعيفة .. وسأل الرجل عن ثمن الطيور كلها .

وبعد أن اشتراها كلها أطلق سراحها لتطير فى الهواء .

فهل تعلم ماذا حدث ؟

بعد أن أطلقها فى الهواء ، أخذت الطيور تدور فى دائرة ، حتى اضطر أخيرًا لطردها ، وبعد أن هبطت على بعد مسافة من المكان ظلت تسير بشكل دائرى ، وكأنها مقيدة رغم أن خيوطها قُطِعَت وتحررت .

صديقى ،

الحرية هى رفض كل ما يؤدى إلى خطية أو يسوق إلى عبودية .

لن تكون حُرًّا إلا إذا تحررت عيناك من كل نظرة شريرة ، وتحررت شفتاك من كل قول باطل ، وتحرر قلبك من كل حقد وضغينة ، وتحررت قدماك من السعى وراء الشر .

لن تكون حُرًّا إلا إذا تطهرت بكاملك من كل شائبة علقت بك عند وجودك على الأرض كإنسان .

إن طلب الحرية هو أحد أهم أهداف المؤمن الحقيقى ، فالوحى الإلهى ، وأقوال الآباء القديسين ، وكل الكتابات الروحية النقية ، هدفها تحرير الإنسان لكى يصل إلى " حرية مجد أولاد الله " (رو ٨ : ٢١) .

والحرية الداخلية (الروحية) هى حجر الزاوية فى أى بناء روحى ، وبدونها يبدو لنا إتمام الوصايا الإلهية ، ضربًا من المستحيل .

إن كل عادة شريرة ، لها على صاحبها سلطان ، من حيث هى عادة .

وكل عادة هى ميل متكرر ، وبالتكرار يصير للعادة سلطان .

وكلما تقادم العهد بالعادة ، صار الإنسان مستعبدًا لها مقيدًا بها . ويمكن أن يُقال بحق أن العادة تبدأ بخيوط حريرية ، فإذا بها مع الزمن تمسى قيودًا حديدية .

وعلى الرغم من ذلك فالتحرر من كل عادة شريرة ممكن ، وإن كان التحرر يحتاج إلى جهد وإلى جهاد .

ولابد من الإيمان بأن التحرر من العادة الشريرة ممكن وميسور ، فاليأس لا وجود له فى قاموس أهل الإيمان .

إذن لابد من الإرادة القوية ، ولابد من أن يعزم الإنسان من كل قلبه على أن يترك هذه العادة .

ويجب على مَن يريد أن يترك الخطية ، أن يترك مجالها ومكانها وكل مَن يذكره بها ، ويدعوه إليها ، ويغريه عليها . وعليه أن ينسف

كل الطرق المؤدية إليها من أصدقاء فاسدين ، أو كتب أو صحافة مثيرة .

إن التحرر من العادة الشريرة عمل مشترك بين الإنسان والله . للإنسان فيه دور ، ولله فيه دور ، ولابد من عمل الاثنين معًا ، ولا غنى للواحد عن الآخر ..

وفى ذلك يقول القديس (أغسطينوس) : [إن الله الذى خلقك بدونك ، لا يقدر أن يخلصك بدونك] .

ويقول القديس (فيلوكسينوس) : [إن الشهوة لا تغلبنا لأنها أقوى منا ، بل من أجل عجزنا وتراخينا .. لأنها لا تجسر أن تقاتلك إن لم تأذن لها إرادتك] .

عزيــزى

فليكن لديك الإرادة القوية والعزم الشديد على مقاتلة العادة الشريرة، مستعينًا بقوة الرب المحررة ، لكى تتخلص منها ، وتتحرر من سلطانها عليك .

فإذا تحررت من سلطانها عليك بمعونة الرب فاثبت فى الحرية .

إنه لأمر عجيب أن يعود الخاطئ بعد توبته إلى الخطية مرة أخرى، بعد أن ذاق مرارتها .

وكيف للعبد الذى تحرر ، وحل الرب نيره ، وفك قيوده أن يعود برجليه إلى العبودية وأغلالها من جديد ؟!

يقول الرسول بولس : " وأما الآن إذ عرفتم الله . بل بالحرى عُرِفتم من الله فكيف ترجعون أيضًا إلى الأركان الضعيفة الفقيرة التى تريدون أن تستعبدوا لها من جديد " (غل ٤ : ٩) .

" فاثبتوا إذن فى الحرية التى قد حررنا المسيح بها ولا ترتبكوا أيضًا بنير عبودية " (غل ٥ : ١) .

الحرية الحقيقية ، حرية تبنى وتصون وتحفظ ، وتساعد على ...

١٢ – جئت لأخلص

ذات مرة ألقى واعظ شاب عظة فى كنيسة صغيرة ، وكان لأول مرة يعظ ، وبعد العظة قام بزيارة قس كبير السن كان حاضرًا العظة وسط الشعب فى ذاك الصباح ، فسأله عن شعوره الخاص تجاه العظة .

فكان الواعظ الكبير رقيقا طيبًا ، حيث ذكر له بعض المزايا الجيدة ، ثم قال له : [لكنك جعلت الخطية كبيرة جدًا ، والله ضئيلاً جدًا !

فلولا أننى كنت أعرف ما هو أفضل ، لتركت الكنيسة شاعرًا أن الخطية أكبر وأقوى من الله] .

ولم ينس الواعظ الشاب هذا التوجيه . إن ما حدث مع هذا الواعظ الشاب يحدث معنا كلما نخطئ .

فالشيطان يحلى ويسهل الخطية قبل السقوط ليقنعنا بالسقوط ، فإذا سقطنا يكبر الخطية ويضخمها ، ويبدأ فى التأثير علينا ، ويجعلنا ندين ونحاكم أنفسنا لكى نيأس .

شيئًا عارضًا فى حياة المسيحى ، وليست ممارسة .

إن الناس لا يهرعون اليوم إلى الرب ليسألوا السؤال القديم : (ماذا أفعل لكى أخلص ؟)

لكن تجدهم يركضون إلى الأطباء النفسيين ، ويتناولون جرعات كبيرة من العقاقير ، أو يغرقون أنفسهم فى الكحوليات ، ويحاولون أن يتخلوا عن مقابلة الآخرين فى حياة كئيبة منعزلة ، ثم بعد ذلك يشتكون أن الحياة لا تستحق المعيشة ويحاولون التخلص من حياتهم .

فماذا يكون هذا الذى يفعلونه سوى الاعتراف بحاجة إلى خلاص ، حاجة يجب أن تحررهم من أنفسهم ومن الخطية والموت الذى يلاحق حياتهم اليومية .

إن الخلاص الذى نبحث عنه اليوم لا يوجد عند أى أحد ، بل فى المسيح وحده . إنه خلاص روحى داخلى ، وهو ينتج بدوره خلاصًا خارجيًا .

إن السلام وتحقيق الذات اللذين نبحث عنهما يمكن أن نجدهما فقط فى العلاقة مع الله من خلال الرب يسوع وحده ، الذى جاء ليخلص العالم .

لقد كان الإنسان مستعبدًا للخطية ويحتاج أن يتحرر ، لذلك جاء الرب يسوع ليحرره من عبوديتها .

- لم يأتِ الرب يسوع إلى العالم ليدين الإنسان الذى كان متجهًا ليدمر نفسه ويهلكها ، لكنه جاء ليخلصه وليضعه فى اتجاه الكمال والسلام من خلال التوبة .

- لم يأتِ الرب يسوع ليدين الإنسان ، ذاك الذى اندفع لاتجاهات

- لم يأتِ الرب يسوع ليعاقب الإنسان بسبب خطاياه ، بل جاء ليخلصه كاشفًا له محبة الآب وغفرانه .
- لم يأتِ الرب يسوع ليحاكم الإنسان لأنه كان مريضًا ، لكنه جاء كالطبيب الإلهى ليضمد جراح البشرية .
- لم يأتِ الرب يسوع ليؤنب الإنسان لأنه كان ضالاً ، لكنه جاء ليخلصه من ضلاله ويفرح بعودته .
- لم يأتِ الرب يسوع ليعاتب الإنسان،لأنه أصبح مستعبدًا للخطية، لكنه جاء ليخلصه ويحرره بكسر قيود الخطية والموت .

يقول القديس (غريغوريوس النيصى) :

[كانت طبيعتنا مريضة وفى حاجة إلى طبيب . الإنسان سقط واحتاج إلى مَن يقيمه . الإنسان الذى توقف عن عمل الصلاح احتاج إلى مَن يعيده إليه .

الإنسان الذى أُغلِقَ عليه فى الظلام احتاج إلى حضور الحياة .

السجين كان يبحث عمَن يفديه .

والمأسور احتاج إلى مَن يفك أسره .

والمستعبد والواقع تحت النير كان محتاجًا إلى مَن يحرره] .

بما أن الرب يسوع جاء لا ليدين بل ليخلص ، فما معنى أن ينال الإنسان الخلاص فى المسيح ؟

الخلاص هو الحرية ، الحرية من جبروت التمركز حول الذات .

الحرية من عبودية الخوف والموت .

الخلاص فى المسيح هو التحرر من أنفسنا ، حتى يمكننا أن نصبح ما خلقنا الله من أجله ، وما ينوى أن نكون عليه .

الخلاص هو أن الله يرفعنا إليه فى المسيح يسوع ، فهو الله الذى يمنحنا الرجاء .

الخلاص هو التحرر من عبودية الخطية ، وأن نعيش الحياة التى أرادها الله لنا أن نحياها .

هذا هو الخلاص الذى يقدمه الرب يسوع لك ولى شخصيًا .

ولذلك فإن قوله : " لم أتِ لأدين العالم بل لأخلص العالم " هو موجه لك ولى شخصيًا .

[لم أتِ لأدينك أنت بل لأخلصك أنت] .

الرب يسوع جاء ليحررك أنت .

إن كنت تعانى من هبوط مستواك الروحى هبوطًا فظيعًا .. فثق أن الله لا زال يرحب بك أكثر من الأول بمعونة أقوى . فليس الآن زمان دينونة وقضاء من قِبَل الرب ، بل زمان خلاص وتحرر وتوبة وقبول وحياة أفضل . هو لن ييأس من رجوعك .

☜ أيهما طلب الخلاص ؟

أيهما طلب الخلاص من اللصين اللذين صُلِبا مع المسيح واحد عن يمينه والآخر عن يساره ؟

فى الحقيقة اللصان طلبا الخلاص .. أحدهما وهو لص اليسار طلب الخلاص الأرضى ، قائلاً : " إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وإيانا " (لو ٢٣ : ٣٩) .

أى خلصنا من الصلب ومن الموت على الصليب . لقد كان ينظر إلى الخلاص الأرضى .

أما اللص اليمين فطلب الخلاص الأبدى ، قائلاً : " اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك " (لو ٢٣ : ٤٢) .

اللص اليسار نظر تحت رجله إلى الأرض ، لكى ينزل من على الصليب ويقف عليها مرة أخرى .

أما اللص اليمين فنظر إلى السماء وأراد أن يرتفع إليها ليكون مع المسيح فى كل حين .

لقد نظر اللص اليمين إلى السماويات ، ونظر إلى يسوع المصلوب بعين الإيمان .

نظر إليه بالعين الداخلية .. لم ينظر إليه بالبصر بل نظر إليه بالبصيرة الروحية .

فدعاه ربًا ، وملكًا له ملكوت(٤٦)، وقادر أن يذكره .

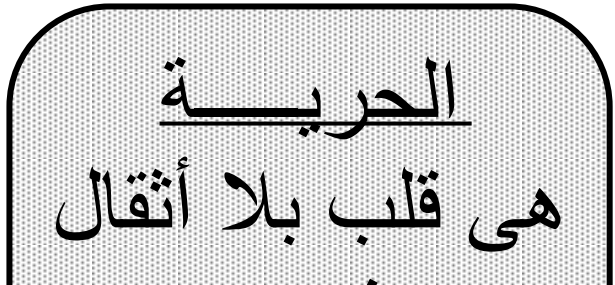

١٣ – انطلق نحو الحرية

❖ إن مَن يسبح فى الماء ويغوص فى قاع البحار ، تكون فوق رأسه أطنان من الماء .

ومع ذلك لا يشعر بثقلها وهو غاطس فيها ومحاط بها .

ولكنه إذا خرج إلى البر ، وحمل جرة ماء واحدة مما كان فوق رأسه يشعر بثقلها .

وهكذا الخاطئ .. لا يشعر بفظاعة الخطية طالما كان غاطسًا فيها ومحاطًا بها من كل ناحية ، وغرقان فى بحارها .

ولكن متى خرج منها وعاش حياة التوبة والقداسة ، فإنه بأقل خطأ يوخذ ضميره ويتعبه .

❖ إذا أقام عددًا كثيرًا من الناس فى مكان مغلق – مثل دور السينما غير المكيفة الهواء – فإن الهواء يفسد ولا يشعروا بفساد الهواء، بل يشعر به مَن دخل عليهم هذا المكان قادمًا من الخارج .

فإنه يصرخ فى وجوههم : [افتحوا النوافذ] .

وعندما يفتحوا النوافذ ، ويستنشقوا الهواء النقى يشعرون بالفارق العظيم .

وهكذا الأشرار لا يشعرون ولا يرون فى أعمالهم الشريرة أى خطأ ، بل هم مبسوطون بأعمالهم ..

بل وأكثر من ذلك ، ربما يتهموا الأبرار بالخبل والجنان عندما يرونهم يشمئزون من الشر ، أو ربما يتهمونهم بالدروشة والتخلف .

عزيــزى

هل تشعر بالخطية ؟

أم أنك غاطسًا فيها ومحاطًا بها كالماء حول السباح ، لذلك لا تشعر بثقلها وفظاعتها ؟

هل تشعر بفساد الجو المحيط بك وتلوث قلبك ؟

إن كنت تشعر بذلك ..

[افتح النافذة]

افتح نافذة قلبك ، لكى تهب عليك نسمات روح الله الطاهرة فتنقيك وتحررك وتطرد رائحة الخطية الكريهة من داخل قلبك .

اعلم – أيها الحبيب – أنك فى صراعك ضد الخطية لكى تتحرر منها تحتاج إلى أب اعتراف ومرشد روحى ، تبوح إليه بصراعك ، لكى يشترك معك فيه بصدق .. لأن

" اثنان خير من واحد .. لأنه إن وقع أحدهما يقيمه رفيقه . وويل لمَن هو وحده إن وقع إذ ليس ثان ليقيمه" (جا ٤ : ٩ – ١٠) .

إن كنت تخسر المعركة ضد عادة سيئة مستمرة أو إدمان أو تجربة ، وقد انحصرت فى دورة متكررة من [نية حسنة للتحرر من سيطرتها – ثم فشل فى تحقيق ذلك – ثم شعور بالذنب لهذا الإخفاق] .

فإنك لن تتحسن بمفردك !

لكنك تحتاج إلى مساعدة أبيك الروحى ، ليرشدك ويشجعك ويصلى لأجلك .

تشتمل خطة الله من أجل نموك وتحريرك على الاعتراف لأبيك الروحى

إذ أن حياة الشركة الأصيلة الصادقة هى الترياق فى كفاحك ضد تلك الخطايا المتغلغلة فى حياتك .. وهى الطريق الوحيد للانطلاق نحو الحرية .

" اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات وصلوا بعضكم لأجل بعض لكى تشفوا " (يع ٥ : ١٦) .

فهل حقًا تريد أن تشفى من تلك العادة السيئة المستمرة التى ظلت تتغلب عليك مرات ومرات ؟

إن حل الله بسيط لا تكبتها ، بل اعترف بها ، لا تخفها ، بل أعلنها لأب اعترافك ، فالبوح بمشاعرك هو بداية الشفاء .

إن إخفاء جرحك لا يفعل سوى أن يزيده حدة ، إذ أن المشكلات تنمو فى الظلام وتصبح أكبر وأكبر ، لكنها تنكمش عندما تتعرض إلى نور الحق .

إنك تمرض بقدر ما لديك من أسرار تحاول كبتها ، لذا اخلع عنك قناعك ، كف عن التظاهر بأنك مثالى ، وسر فى طريق الحرية .

إن الشيطان يريدك أن تعتقد بأن خطيتك وتجربتك فريدتان ، وأنك تقع فيهما بمفردك دون غيرك ، لذلك فعليك أن تبقيهما سرًا .

لكن الحقيقة هى أننا جميعًا فى نفس القارب .

نحن جميعًا نحارب نفس التجارب (١ كو ١٠ : ١٣)

" إذ الجميع أخطأوا " (رو ٣ : ٢٣) .

كما أن الملايين قد شعروا بما تشعر به ، وواجهوا نفس الصراعات التى تواجهها الآن .

إن السبب الذى لأجله نخفى أخطاءنا هو الكبرياء ، إذ أننا نريد أن يعتقد الجميع أن كل شئ لدينا هو [تحت السيطرة] .

لكن الحقيقة هى أن ما لا تستطيع التكلم عنه والاعتراف به ، هو بالفعل خارج سيطرة حياتك .

فإذا كان باستطاعتك التعامل معه بنفسك ، لكنت قمت بذلك بالفعل . لكنك لن تستطيع ، إذ أن قوة الإرادة والتصميم الشخصى ليسا كافيين .

حينما يفضى شخص بمشاعره ، فإن هذا الشخص يكون على وشك اختبار ارتياح وتحرير عظيمين ، فسوف يُفتح الصمام منفسًا عن الضغط الهائل فى أعماق النفس ، وسوف يرى ، لأول مرة بصيصًا من الأمل لمستقبله .

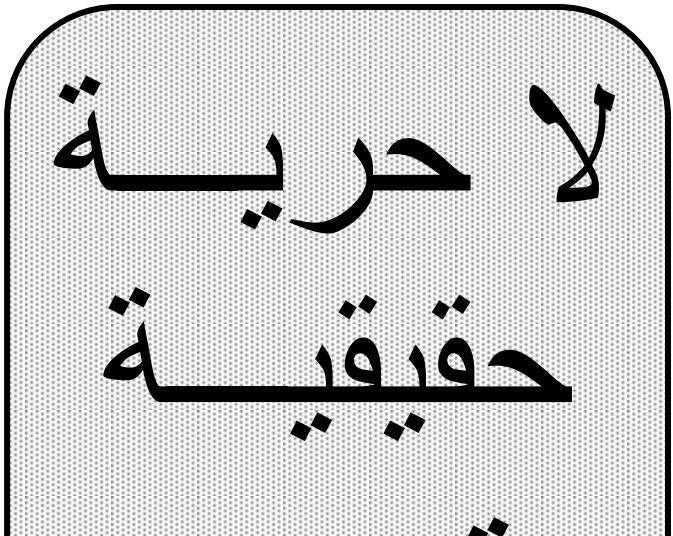

لا حريــة
حقيقيــة

١٤ – يســوع ينتشلنـــى

قال رجل صينى اعتنق المسيحية حديثـًا : كنت قد سقطت فى هوة سحيقة . وكدت أغرق فى الوحل . وصرخت لعلى أجد أحدًا ينتشلنى .

وإذ تطلعت إلى فوق ، رأيت رجلاً أشيب يتطلع إلى أسفل نحوى ، وقال :

- يا ابنى ، هذا مكان مخيف .
= نعم .. لقد سقطت فيه .. ألا يمكنك أن تنتشلنى ؟
- يا ابنى ، أنا كونفوشيوس . لو كنت قد قرأت كتبى وتبعت تعليمى ، لما كنت قد وصلت إلى هذا المكان .
= نعم يا أبى ، لكن ألا يمكنك أن تنتشلنى ؟
- لا ..

وإذ تطلعت ، انصرف .

وللحال رأيت رجلاً آخر ينحنى فوقى .. وفى هذه المرة ، كانت عيناه مغلقتين ، وذراعاه مطويتين . وكأن يبدو أنه يتطلع إلى مكان بعيد .

قال بوذا :

- يا بنى ، اغلق عينيك وأطوى ذراعيك وانس كل شئ عن نفسك .. اهدأ واسترح ، لا تفكر فى شئ يزعجك .

كن فى حالة هدوء كامل بحيث لا يحركك شئ ، وعندئذ ، يا بنى ، تتمتع براحة كاملة مثلى .

بدأت أغرق فى بالوعة اليأس .

لكننى رأيت شخصية أخرى فوقى ، تختلف عن الباقين . وكان على وجهه علامات الألم . فصرخت إليه :

= يا أبى ، أيمكنك أن تنتشلنى ؟
- ماذا دهاك يا ابنى ؟

وقبل أن أجيبه ، نزل إلى الوحل بجوارى ، وطوقنى بذراعيه ، ورفعنى إلى فوق .. ثم أطعمنى وأراحنى .

وعندما أنقذنى ، لم يقل لى : [لا تفعل هكذا مرة أخرى] .. بل قال : [أنا يسوع ، سوف لا أتركك بل سنسير معًا الآن] .

فسرنا معًا ، ولا زال يسير معى إلى اليوم ، وسنستمر .

أخـى القـارئ

هناك ملايين من البشر عبر الأجيال والعصور ، يستطيعون أن يسردوا كيف كانوا ؟ .. والآن أصبحوا !!!

كانوا سجناء وأصبحوا طلقاءً .
كانوا غارقين وأصبحوا منتشلين .
كانوا ساقطين وأصبحوا قيامًا .
كانوا عبيدًا ، وأصبحوا أحرارًا .
كانوا تعساء ، وأصبحوا سعداء .
كانوا تعابى ، وأصبحوا يهتفون قائلين : " طلبنا الرب إلهنا . طلبناه فأراحنا من كل جهة " (٢ أى ١٤ : ٧) .

إذا بحثنا عن شخص مخلص (أعظم) ، لا نجد سوى الرب يسوع . إن كل عظمة دون عظمته يشوبها شئ من المهانة .
وكل حكمة غير حكمته بداخلها الجهالة .
وكل صلاح عداه يعتريه النقص .

الرب يسوع وحده ، سيظل فريدًا وحيدًا لا مثيل له بين الناس ، ولا نظير له بين أقدسهم .

وإذا بحثنا عن شخص لكى يحررنا من عبوديتنا ويفك قيودنا ، ويزيل متاعبنا ، ويهدى أرواحنا ، ويطمئن أفئدتنا . لا نجد سوى الرب يسوع .

لقد اتخذ (يوحنا الحبيب) من صدره الحنون وسادة يتكئ عليها .

إن قداسة الرب حارة دافقة ، تفيض عذوبة وإنسانية تجتذب القلب اجتذابًا ، وتلهمه برسالة الحياة .

إن الرب يسوع له المجد يلمس أغوار جراحتنا مهما كان نوعها ، ويحررنا

الحريـــة هى طـــوق

١٥ ـــ تيـــار الإباحيــة

إنه لمن أشهر حوادث الانتحار الفلسفية فى التاريخ ، تلك الجريمة التى ارتكبها ضد نفسه ذلك الشاب النابغة العبقرى (وينجر) مؤلف كتاب [الحياة الجنسية والأخلاقية] الذى جرد فيه الإنسانية من كل مزاياها وخواصها النبيلة ، وعرضها أمام الأنظار فى شكلها الحيوانى البشع العارى .

وبعد أن فرغ من كتابه الإباحى ، لم يجد مبررًا للبقاء فى عالم كهذا .. فأطار رأسه برصاصة من مسدسه .

إن الحياة العابثة قد تختفى وراء اسم (الحرية) وربما الابن الضال

إن الإباحية خطر رهيب على الفرد والأسرة والمجتمع ، وهى تعبير عن انطلاق الغرائز لتقود الإنسان ، عوض أن يقوده الله أو حتى العقل والضمير .

والملاحظة السريعة عندما نشهد إعلانات أفلام السينما ، تؤكد هذا الخطر ، وهو الإثارة المستمرة للغريزة فى شعب مكدود ومتوتر .

☜ فريسة الكبت الخفى

يتصور بعض الشباب أن السلوك حسب الإنجيل يورث الكبت والشعور بالحرمان ، مما يفسد نفسية الإنسان .

وينادى كثير من المفكرين والأدباء بالإباحية علاجًا لهذه الناحية ومنهجًا سويًا للسلوك .

ولكن الأمر مجرد خداع نظر ..

فمعروف ومتيقن عندنا أن أولاد الله لا يعانون كبتًا ولا حرمانًا .. وأن العكس هو الصحيح ، فالمستبيح لا يشبع ، وثوراته لا تهدأ ، ولا يستطيع أن يحقق كل رغائبه .

لهذا فهو يسقط فريسة كبت خفى .

أما الإنسان الروحى ، فعنده نعمة سماوية خاصة ، تهدئ جسده وتقدس غرائزه .

فالانسياق وراء نداء الجسد أنانية مُرة ، سينسى فيها الإنسان واجبه نحو نفسه ونحو أسرته ونحو مجتمعه .

ستنتهى الأمانة الزوجية ، وينتهى التعاطف بين الناس ، فالكل مشغول بشهواته وملذاته .

فى عصرنا هذا نسمع ونرى تيار الإباحية وهو يكتسح العالم ، سواء فى العلاقات ، أو وسائل الإعلام .

وفى بلادنا نشعر بوطأة المشكلة وهى تخرج من مكامن الظلام، لتسير فى الطرقات ترفع رأسها بلا حياء .

☜ الحرية لها شروط

إن الإنسان له أن يمارس حريته بحيث لا يتعدى على حريات الآخرين وحقوقهم .

وبحيث لا يسئ إلى المجتمع ،ولا يحطم ما فيه من قيم وأخلاقيات .

أما إذا مارس الحرية بلا شروط ولا تحفظات .

فإن الحرية حينئذ ستكون مجالاً للإباحية والاستهتار ، ومجالاً للانحراف الفكرى . دون ضابط .

وإن كان الله قد منح الإنسان حرية ، فإنه وضع له إلى جوار هذه الحرية وصايا ينفذها .

كما أنه سيحاسب الإنسان على مدى استخدامه لهذه الحرية ، ويعاقبه إن كان قد أساء بها إلى نفسه أو إلى غيره .

والحرية المطلقة لها أخطار سلوكية ..

وكمثال لها الحرية التى أراد أن يسلك بها الهيبز ، بحيث لا مانع من أن يسيروا عراة فى الطريق العام ، أو أن يمارسوا الخطية والدنس بلا خجل أمام الناس ، ويخدشوا حياء المجتمع .

فالحرية الحقيقية هى أن يتحرر الإنسان من الداخل من الأخطاء .. يتحرر من الشهوات والرغبات الخاطئة ، ومن العادات الرديئة المسيطرة عليه .

أما إن حقق الإنسان رغباته ونزواته بكل ما فيها من انحراف فهو مستعبدًا لها وليس حرًا .

العلاج

يكمن العلاج فى الخليقة الجديدة التى تعطينا إياها السماء بالتوبة الصادقة .

وهكذا تعمل فينا النعمة عملاً جذريًا ، فتقدس أفكارنا ، وتختن حواسنا ، وتطهر قلوبنا ، وتهدأ ثوراتنا ، و تحررنا من رغائبنا وميولنا المنحرفة ..

إن الحياة المسيحية هى حياة حرية ..

لكن الحرية المسيحية ليست دعوة للانحلال الأخلاقى يعمل فيه كل واحد ما يحسن فى عينيه .

ربى وإلهى

آتى إليك مثلما أتاك الابن الضال
لقد أضعت كل حياتى فى كورة بعيدة
وبددت كل ممتلكاتى التى أعطيتنى إياها
وعشت حياة عابثة فى عبودية مرة
فسامحنى ، واغفر لى ، وارحمنى وحررنى ، أنت حريتى .

يارب

الحرية ، كلمة أزلية .. ولكنها ستظل أ

١٦ ــ عبيد الشهوة

أرسل أحد المعجبين إلى الكاتبة الفرنسية (صاند) التى يحبها حب عبادة ، يقول لها فى بداية رسالته : [إلى أجمل امرأة فى الدنيا] .

وطلب منها أن ترسل له صورتها الجميلة ، وكانت فى ذلك الوقت قد جاوزت الستين من عمرها ، فأرسلت له صورتها وتوقعت أن يُصدم.

ولكنه أرسل لها رسالة أخرى يقول فيها : [ما زلتِ أجمل امرأة فى الدنيا] .

واكتشفت بعد ذلك أنه قد جاوز السبعين من عمره ونظره ضعف .

كم من أناس مستعبدين لشهوات الجسد والنجاسة والعادات الشبابية.

فنسمع هذه العبارة المشهورة أن شابًا يحب فتاة [حب عبادة] .

" لأننا كنا .. مستعبدين لشهوات " (تى ٣ : ٣) .

لقد قامت حروب (تروادة) من أجل امرأة جميلة والصراع عليها

على الإنسان إذن أن يحتفظ بنفسه بعيدًا عن الشهوات الخاطئة ، لأنه لو فتح الباب لها ، فسوف لا ينتهى منها حتى تنهى هى عليه .

فالشهوة لا تشبع ولا تنتهى بالإشباع ، لأن كل من يُشبع نفسه منها يشعر فيها بلذة تدعوه إلى الممارسة ، ويتكرر الموضوع .

ولا يمكن الانتصار على الشهوة إلا بضبط النفس ، والهروب من الشهوة بإحلال شهوة مقدسة مكان الشهوة الخاطئة .

لقد علمنا الرب يسوع مفهوم جديد للحرية وهو " إن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحرارًا " (يو ٨ : ٣٦) .

فالإنسان إذا اتحد بالمسيح وعاش معه ، فلن يتسلط عليه فكر شرير أو تتغلب عليه شهوة خاطئة ، وبالتالى يصبح حُرًا ..

ولهذا يقول الوحى الإلهى : " جعلنا ملوكًا " (رؤ ١ : ٦ ؛ ٥ : ١٠) ، أى لا أحد ولا شئ متسلط على أرواحنا وأنفسنا ونحن نملكها .

يخطئ مَن يعتقد أن الحرية تكمن فى الانصياع للأهواء أو إشباع الرغبات ، فالحرية لا تعنى الانسياق وراء الغرائز بل التحرر منها .

فالحرية هى السيطرة على الذات .

أنا حُر ، إذن أنا قادر على السيطرة على ميولى ، وعلى تنظيم حياتى ، وبناء شخصية روحية فريدة .

صديقى القارئ

سيطر على جسدك .

اخضع جسدك لمشيئتك ، حتى تقدر أن تخضع مشيئتك لله ، فيصير جسدك للرب .

مجسدة ، وإيمانك إلى عبادة ، ومحبتك إلى تعبيرات ومواقف .

وإن كانت شخصيتك تتحدد بأعمالك وبوعيك لذاتك ، فإن الجسد الذى يقوم بعملك وبه تفكر وتعى هو الذى يحدد شخصيتك ، ويجعلها واقعية ومحددة الملامح .

إن نجحت فى السيطرة والتحكم فى جسدك ، تنجح فى تحقيق أعمالك ، وبالتالى تقدر على تحقيق شخصيتك وإبرازها ، فالسيطرة على الجسد هى مفتاح تكوين الشخصية وتحقيق الذات .

إن نجحت فى السيطرة على الجسد ، فيمكنك أن تحقق توازنه الداخلى ، وتحافظ على صحته وسلامته ، وخارجيًا يمكنك أن تحقق أعمالك كما تتصورها ، وأن تتوافق جيدًا مع الناس .

خلاصك يتوقف فى إحدى جوانبه على سيطرتك على جسدك ، فيقول الرسول بولس : " كل مَن يجاهد يضبط نفسه فى كل شئ .. أقمع جسدى وأستعبده حتى بعد ما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسى مرفوضًا " (١ كو ٩ : ٢٥ – ٢٧) .

الجسد ليس عدونا ولا نحاربه كى ننتصر عليه ، ولا نسعى لإضعافه وإذلاله ، بل على العكس نحبه ونهتم به ونقويه " فإنه لم يُبغِض أحد جسده قط بل يقوته ويربيه " (أف ٥ : ٢٩) .

السيطرة والتسلط على الجسد هدفه أن يكون مركز التحكم هو الإرادة العاقلة والمستنيرة بروح الله ، وليس الأهواء النفسية ولا الشهوات الغريزية .

وحينما أنجح فى ذلك يمكننى أن أخضع إرادتى لمشيئة الله ، ويكون جسدى للرب وهيكلاً لروحه القدوس وأعضائى أعضاء للمسيح .

وإن صارت سيطرة جسدنا للرب فإن الله يحفظه ويمجده .

السيطرة على الجسد تتم إن تمكنا من السيطرة على هوى النفس وشهواتها الغريزية وصلبها .

" الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات " (غل ٥ : ٢٤) .

اصلب الأهواء ، فالهوى يأتى من الراحة والفراغ وأحلام اليقظة ، فلا تريح جسدك بزيادة ، ولا تعش فى فراغ ، ولا تستسلم للأحلام ، قاومها وأوقف عملها المثير لهوى النفس ، فإن اشتد هوى النفس فقدت السيطرة على حركات الجسد .

اقمع نزواتك ، فليس كل ما يخطر على بالك أو تهواه ويثور فيك تصنعه فى الحال ، بل انتظر قليلاً حتى ينشط ذهنك مرة أخرى ، ويفحص الأمر ويرتاح ضميرك لما تعمل ، فتقوم به .

استعبد غرائزك لئلا تستعبدك .
احكم عاداتك لئلا تحكمك .
اجعل لغرائزك نظام تسير عليه ، واجعل لها قانون تعتاد عليه فتستريح وتريحك .

الصوم يحقق لك السيطرة على جسدك ، فهو يضبط الفكر والدوافع بالتمسك بالوصية ، ويعلم الانتظار بالانقطاع المنظم ، فتحكم القيام بأعمالك بفهم وبفكر . وتتممها فى أوقاتها المحددة .

انظر حولك ،ترى المنساقين وراء أهوائهم والمستعبدين لشهواتهم ، ذوى ذهن عقيم ، وجسم سقيم ، وشخصية هزيلة .. بينما ترى المتحررين من شهواتهم ، وأصحاب الرسالات ، وذوى الهمم .. أقوياء فى عقولهم وأجسامهم وشخصياتهم .

وإنك لتستطيع أن تحكم على الإنسان من الوهلة الأولى ، تحكم على أخلاقه ومسلكه ، تحكم على حريته أو استعباده ، بما تلمحه على ذهنه من تشتت أو تركيز ، وعلى شخصيته من تفتُح أو ذبول .

☜ هكذا تفعل الشهوة

❖ إن قصة شمشون تبيِّن لنا ماذا تفعل الخطية فى الإنسان ، فهى تبيِّن لنا خسارته التى لا توصف ، ومهانته التى لا حد لها .

يقول القديس (امبروسيوس) عنه : [شمشون القوى الشجاع الذى غلب الأسد ، لم يستطع أن يغلب هواه .

الذى قطع الحبال التى أوثقه بها أعداؤه ، عجز عن قطع حبال شهوته .

الذى أحرق حقول أعدائه ، أحرقه لهيب اللذة الممنوعة التى أوقدتها فيه امرأة واحدة] .

إن قصة شمشون هى درس وعظة وعبرة لكل الأجيال عبر العصور والتاريخ .

انظر يا أخى إلى شمشون الذى كان يحركه روح الله ، ها قد حركته الخطية فأحرقته ، وداعبته الشهوة فألهبته ، ولم يعد الشعر يظلل هامته .

فأذل أخته بنت أبيه (ثامار) ، فجعلها غريبة وهى فى بيتها ، وعبدة وهى السيدة .

لقد دخلت الشهوة إلى قلبه فألهبت جسده ، وأماتت فيه الحياة ، وانتزعت منه الوقار ..

أعمت الشهوة عينيه ، وأغلقت أذنيه ، فلم يسمع لتودد أخته وتوسلاتها وتوبيخها .

لقد أتت (ثامار) لتخدمه وتقوم على راحته فأذلها .. أتت لشفائه فأمرضها .. أتت لتقدم له الخير ، فقدم لها الشر .

أطفأ بهجة قلبها ، وأطفأ فرحتها ، وأفقدها سعادتها ، وبدد البسمة من على وجهها ، وحرمها من أبسط حقوقها الإنسانية المشروعة فى هذه الحياة .

آه .. يا (ثامار) ابنة الملوك ، أيتها الوردة اللطيفة التى خنقها الشوك ، ويبست مبكرًا ، والزهرة الجميلة التى ذبلت قبل الأوان .

أقول لكِ من كل قلبى أنك " جنة مُغلَقة . عين مُقفلَة . ينبوع مختوم " (نش ٤ : ١٢) .. ولا يهم ما حدث لكِ ؟

فقد قمتِ بدوركِ على أكمل وجه وأحسن ما يكون ، وهذا ما يؤكد عفة جسدكِ ونقاء سيرتكِ وطُهر حياتكِ .

سوف تظل (ثامار) مقهورة طالما يوجد أولاد لأمنون ، وأبناء للشهوة ، وأحفاد للخطية .

وهذه هى الخطية ونتائجها السيئة .

وهل لعاقل أن يتوقع غير ذلك وتلك النتيجة ؟

إنه تسلسل طبيعى لبداية خاطئة ، وأمر وارد لقضية خاسرة ، بدأت دون تعقل ، وليس فيها الله .

هذه هى الخطية ، وقد جنى أمنون ثمارها . ثمار عارها وشرها ومُرها . ومات مقتولاً لأن " الحارثين إثمًا والزارعين شقاوة يحصدونها " (أى ٤

حين نسلم قيادة حياتنا لأمزجتنا ، نصبح كالقش فى مهب الريح

١٧ – أتريد أن تبرأ

حُكِمَ على شاب فى أمريكا بالإعدام ، ولكن تجمع كثيرون وكتبوا التماس إلى حاكم الولاية طالبين العفو عن ذلك الشاب ، مؤكدين على توبته وعدم رجوعه للجريمة مرة أخرى .

فلما قرأ الحاكم الالتماس ورأى كثرة التوقيعات عليه ، قبل أن يعفو عن الشاب بشرط واحد هو أن يذهب إليه متنكرًا فى ملابس رجل دين، ليتأكد من صدق توبته ، فإن قبل رسالة المسيح عفا عنه ، وإن رفض الإنجيل وخادم كلمة الله ، فإنه لا يستحق الحياة ولابد من إعدامه .

وبالفعل لبس الحاكم ملابس رجل دين ، وذهب إلى الشاب فى زنزانته ، فلما رآه الشاب يقترب منه ، صاح : [أبعد عنى أنا لا أريد أن أرى رجال الدين قط ، ولا أريد أن أتدين] .

فأجابه بلطف ، وأعلمه أنه معه رسالة تهمه جدًا ،وحاول أن يقنعه مرات كثيرة بأنه جاء لخيره ومنفعته .

ولكن الشاب رفض مجرد رؤية وجهه ، فرجع الحاكم آسفًا ، لأن الشاب حكم على نفسه بأنه لا يستحق العفو والحرية .

وبعدئذ سأل رئيس السجن هذا الشاب قائلاً : [ماذا قال لك حاكم الولاية لما طلب أن يتحادث معك الآن ؟]

فاندهش الشاب جدًا ، وقال له : [حاكم الولاية ؟! ماذا تقول ؟!]

فأجابه : [نعم .. لقد كان معك حاكم الولاية بنفسه ، وكانت معه ورقة العفو عنك فى جيبه ، ولو كنت أطعته لكنت نجيت نفسك من الإعدام . وخرجت حرًا طليقًا من السجن] .

وهنا أخذ الشاب يقطع شعر رأسه بيديه ، وندم ندمًا شديدًا على ما فعله ، ولكن ماذا ينفعه الندم بعد أن ضيَّع على نفسه فرصة العفو وإطلاق سراحه .

لقد أراد هذا الحاكم أن يحرر هذا الشاب من سجن الخطية ، ويحله من قيودها التى تقيد دواخله ، قبل أن يحرره من السجن الذى يقيد جسده . أراد له أن تبرأ روحه قبل أن يبرأ جسده .

والرب يسوع قبل أن يشفى جسد المفلوج المقيد بالشلل الذى شل حركته ، عنى بعلاج الروح ، عالج سر المرض وهو (الخطية) .. لذلك نسمعه يقول للمفلوج : " مغفورة لك خطاياك " (مر ٢ : ٥) .

عزيــزى

الرب يسوع يقول لك :

- (أتريد أن تبرأ) ؟
- هل تريد الشفاء ؟
- دعنى إذن ألمسك .
- دعنى أتكلم إلى قلبك ..
- دعنى أقول لك : " قم " (يو ٥ : ٨) .

وبقوتى أرفع عنك أحمالك .

- قم ، وعش حياة الإيمان والثقة بى ، وتوقف عن أن تكون مشلولاً بالخوف .

- قم ، وانظر ماذا يمكننى أن أعمل لكى أساعدك .

- قم ، واترك خلفك طريق حياتك الأعرج ، وسر معى فى مستقبل جديد ومجيد ، نحو ملكوت الله .

وبهذه القوة التى فى الرب والتى يمنحها لنا .. يسوع نفسه يقيمنا ويرفعنا فوق عقبات الحياة ، وكل مصاعبها التى تقابلنا ، والتى أعظمها هى الخطية .

لقد غفر الرب للمفلوج خطاياه ليعالج سبب المرض (الخطية) ، ثم تقدم ليعالج تأثير الخطية (الشلل)..

فقال له : " قم واحمل سريرك " (مر ٢ : ١١) .

الرب يسوع وحده هو الذى يعرف قدرة الخطية فى أن تشل جسم الإنسان ونفسه أيضًا .

إن الشعور بالذنب وعزلة الضمير بالخطية تتسبب أيضًا فى أمراض .

كم من كثيرين اليوم مرضى ومشلولين بسبب خطية لم تُغفر بعد، وهم يغطونها ويسترون عليها ، فتتقيح داخلهم ؟

هم مثل المفلوج يعرفون أنهم خطاة ولو بطريقة غير واضحة مبهمة ..

ولكنهم يختلفون عن المفلوج فى أنهم يفتقرون إلى الإرادة فى الشفاء وإلى الغفران .

هم لا يبحثون عن الغفران الذى يمنحهم طريقة جديدة فى الحياة .

لقد علم الرب يسوع أن شلل الرجل كان سببه الخطية ، لذلك قال له : " مغفورة لك خطاياك " (مر ٢ : ٥) .

وهو مستعد أن يقول لك هذه الكلمات أنت اليوم .

عندما تسمع هذه الكلمات الموجهة من الرب ،

الحريـــــة
كشروق الشمس
..
كضياء فجر

١٨ – طريـق الحريـة

فـى خـلال الحـرب العالميـة الثانيـة ، وقـع أحـد الجنـود أسيرًا فـى يـد الأعداء فى الملايو [الآن ماليزيا فى شرق أسيا] .

وقد تطوع أحد الوطنيين لمعونتـه علـى الهـرب إلـى الشـاطئ ، ومـن هناك إلى رحاب الحرية .

وسار الاثنان يتعثران فى وسط غابـة كثيفـة تشـابكت أشـجارها .. لـم يكن هناك أثر من آثار الحياة الإنسانية . ولم يكن فـى هذه الغابـة المخيفـة أثر باهت لأى طريق مطروق .

وإذ يحس الجندى بالتعب والإعياء ، يلتفـ إلـى دليلـه ويسـأله : [هل أنت واثق بأن هذا هو الطريق ؟]

ويجيبه الدليل : [ليس هنا طريق .. أنا هو الطريق] .

وقبل قرابة ألفى عام نطق المعلم الأعظم بهذه المقولة عينهـا ، وكـان يتحدث إلـى تلاميذه الـذين أدركهم الإحبـاط – عـن الحريـة المجيدة التـى تنتظـرهم فـى بيـت الآب ، فقـال لهـم : " أنـا هـو الطريـق " (يـو ١٤ : ٦) .

وهذا يصـدق علـى كل إنسـان اليـوم . فنحن نعيش فـى عـالم يسـوده الاضطراب والفوضى ، اختفت فيـه معـالم الطـرق التـى ألفناهـا ، وكأنمـا نعيش فى حياة الغابة فى كثير من أوضاعنا .

علـى أنه إذا أمسكت أيدينا بيد (مَن هو الطريق) سرنـا علـى الـدرب فى أمن وسلام دون أن نتعثر .

ربـــى وإلهـــى

- أعرف أن زهورى تذبل ، وأوراقى تتساقط ، وغصونى تجف .
- يبس رحيق الحياة فى العود الأخضر .
- فعبادتى الشكلية الجافة ، لا تروى نفسى العطشة .

- صارت نفسى فى مسالك وعرة .
- فأرشدنى بروحك القدوس إلى طريق الحياة .
- ابعث فىَّ فكرًا جديدًا ، وقلبًا نقيًا ، ووجهًا نضرًا ، وشوقًا خالصًا لمعرفتك ، حتى أرتوى من أنهار رحمتك .
- حررنى من خطاياى .
- قدنى إلى حرية مجد أولاد الله .. فأنت هو الطريق للحرية المجيدة .

أنت حريتـــى

يـــارب

الحرية هى الحياة

أخيـراً ..

[ستعرف أنك قرأت كتاباً جيداً ، عندما تقلب الصفحة الأخيرة ، وتحس كأنك فقدت صديقاً] . **(أحد الفلاسفة)**

الفهرس

م	الموضوع	رقم الصفحة	م	الموضوع	رقم الصفحة
١	رحلة الحرية .	٥	١٠	سجناء أنفسهم .	٤٠
٢	أنت حريتى .	١٤	١١	اثبت فى الحرية .	٤٣
٣	ضوابط الحرية .	٢٠		جئت لأخلص .	٤٧
٤	الرب يحررنى .	٢٤	١٣	انطلق نحو الحرية .	٥٢
٥	دعوة للحرية .	٢٦	١٤	يسوع ينتشلنى .	٥٧
٦	قلبى حُر .	٢٩	١٥	تيار الاباحية .	٦٠
٧	فى ظل الحرية .	٣١	١٦	عبيد الشهوة .	٦٥

بنعمة ومعونة الرب

صدر عن هذه السلسلة

١ ـ صرخة خادم .	٢١ ـ ما أجملك .	٤١ ـ فن الصمت والكلام .
٢ ـ دموع الحب .	٢٢ ـ رسالة إليك .	٤٢ ـ فن الحياة .
٣ ـ صياد الناس .	٢٣ ـ نبع الحياة .	٤٣ ـ معنى الحياة .
٤ ـ أين الحب ؟	٢٤ ـ أعظم حب .	٤٤ ـ رحلة الحياة .
٥ ـ عش الحب .	٢٥ ـ الأيام تتكلم .	٤٥ ـ هدف حياتك .
٦ ـ رحلة التحدي .	٢٦ ـ الرفيق والطريق .	٤٦ ـ أنشودة الحب .
٧ ـ صُناع الحياة .	٢٧ ـ من هو صديقي ؟	٤٧ ـ الحب الغافر .
٨ ـ اليك أنت (الجزء الأول)	٢٨ ـ وأنا أريحك .	٤٨ ـ من أنا ؟
٩ ـ اليك أنت (الجزء الثاني)	٢٩ ـ لمن أنت ؟	٤٩ ـ أين أنت ؟
١٠ ـ اليك أنت (الجزء الثالث)	٣٠ ـ كيف أدعوك ؟	٥٠ ـ لك أنا .
١١ ـ أشواك الورد .	٣١ ـ تليفون السماء .	٥١ ـ صرخة ألم .
١٢ ـ الام الزمان .	٣٢ ـ أنشودة الحياة .	٥٢ ـ وادى الدموع .
١٣ ـ طريق الأرض .	٣٣ ـ ماذا زرعت ؟	٥٣ ـ فيك أحتمي .
١٤ ـ ما هي حياتك ؟		
١٥ ـ أيام العمر .		
١٦ ـ وأنا حملتكم .		
١٧ ـ على أجنحة		